الصلاة و الصلوه

(مقدمة)

من أحسن ما جاءت به الأديان هو الصلاة و من أسوأ ما جاءت به الأديان هو الصلاة. الأحسن لأنها جعلت الانسان يفرح بدون أن يحتاج الى شيء غير نفسه, و الأسوأ لأن الناس لم تقتل بعضها نفسيا و جسميا على شيء مثل ما قتلوا أنفسهم على أيهم صلاته صحيحة أو صلاته أصح من الآخر.

و في كتابنا العزيز كانت الصلاة هي أول أوامر ربنا لنا بعد أن أعطانا الكوثر, و هذا أول أمر في ديننا, و هو الأساس للوصية الثانية "و انحر" فهو الأول و الأساس فهو الأهم على الاطلاق. و ابرهيم أبينا يقول "رب اجعلني مقيم الصلوة و من ذريتي" و ما نحن الا مظاهر لابرهيم اذ في الابن سر أبيه.

و في دعوتنا بين اخوتنا الى توحيد الكتب بالقرءآن "لا كتاب الا كتاب الله" يشهر اخواننا في وجهنا مسألة الصلاة, و يقولون هي ليست مفصلة في كتاب الله و لذلك يجب أن نؤمن بالمذاهب و كتب الأحاديث مع كتاب الله. فنريد أن نرى مدى قوة هذه الحجة.

و لهذه الأسباب الثلاثة: أهمية الصلاة في الانسانية, و في القرآن الكريم, و في الدعوة, فان هذا الكتاب قد كتب.

و سننقد المبادىء العامة التي يلزم الايمان بها لكي تتم الصلاة, و الصلاة في كتاب الله, و الصلوات الخمسة المعروفة. و نرى ما حقيقة هذا الأمر بالقدر الذي تسمح به أعيننا.و لا قوة الا بالله.

1(المبادىء العامة للصلاة)

كلمة "صلاة" تدل على الصلة. و الصلة تكون بين شيئين و أكثر. و معنى الصلاة اذن هواما وصل شيء بشيء, أو اكتشاف وجود صلة بين شيء و شيء. فمثلا اذا قلنا "عليك أن تصل أقاربك" فهذا يعني ايجاد هذه الصلة عن طريق الزيارة مثلا. و لكن اذا عرفنا أن الشمس مرتبطة بالحرارة و عملية البناء الضوئي فنحن لم نوجد هذه الصلة في عالم الآفاق, و انما اكتشفنا وجود هذه الصلة, و في عقولنا قمنا بوصل فكرة الشمس مع فكرة الحرارة و البناء الضوئي.

فالصلاة اما وصل المنفصلين و اما اكتشاف علاقة بين متصلين.

و بما أن الصلة هي روابط فهي من العقل. فالصلاة أمر عقلي في جوهرها و لّبها. و عندما نريد أن نصل بين شيء و شيء فيلزم من هذا أننا قد وصلنا بينهما مسبقا في عقولنا, اذ الفكرة قبل الحركة بالضرورة, سواء أكانت فكرة شعورية أو لا شعورية. و عندما نكتشف وجود صلة بين شيء و شيء فهذا يعني أن الصلة بينهما متحققة بغض النظر عن علمنا بها, فهي حقيقة موضوعية, فسواء أعرف الناس وجود رابط بين الشمس و نمو النبات أم لم يعرفوا فالرابط متحقق,فالاكتشاف في حقيقته هو جعل ما في العقل مطابق لما في الآفاق و العوالم الاخرى.

فاكتشاف الصلة يسبق ايجاد الصلة. فالاكتشاف أمر عقلي نفسي, و الوصل أمر عملي جسماني.

عند الناس يوجد أربعة معاني للصلاة مهما اختلفت أديانهم و مشاربهم: الدعاء و الدراسة و الدعوة و التأمل المجرد.

الدعاء صلة مع المدعو الذي هو الاله عامة أو من له سلطة من الاله. و تظهر افتقار الى قوة المدعو و بالتالي عجز الداعي و ذلته. و هذا أشهر معاني الصلاة في الناس.

الدراسة صلة مع الكتاب المقدس. لأنها تجعل الدارس يقوم بعقل ما يقوله الكتاب الديني, و كذلك تجعله يعمل بمقتضى ما فهم.

الدعوة هي لاقامة صلة بين عالم الناس و أمر الاله لكي يكون الاله حاضرا في المجتمع الانساني عن طريق علمه و أحكامه و ذكر اسمه. فالدعوة هي وصل حياة الناس بأمر الله.

و التأمل المجرد هو اكتشاف وحدة الأشياء " هو الأول و الآخر و الظهر و الباطن" أي اكتشاف أن كل شيء متصل بكل شيء. فالأمر وحدة في الواقع.

الصلاة اذن مفهوم ديني في عمقه و عقلي في جذوره. و بناء على ذلك فكل مصلي يلزم أن يعتقد بأمر أو أمور بحسب كل نوع من الأنواع الأربعة للصلاة. فلننظر في واحدة واحدة و ننقدها باختصار. و بما أن هذا الباب هو لفهم الصلاة بصورة عامة فلن نذكر ما يقول القرآن في الأمر.

(الدعاء) اذا كنت جالسا في بيتك بكامل صحتك و قوتك ثم طرق احد الباب, و أردت أن تقوم لكي تفتح الباب فهل تدعو الله و تقول "يا رب افتح لي الباب" أم أنك تقوم مستعملا قوتك لكي تفتحه؟ لا شك أن الذي يقول "يا رب افتح لي الباب" و هو قادر على القيام سنعتبره مغفلا قليل الأدب و معاند. فالدعاء لا يكون مبررا تماما الا عند العجز التام و انقطاع كل الحيل الممكنة الطيبة.

و بناء على ذلك فكل من يدعو الله و هو قادر على أن يتم الأمر بنفسه هو في الحقيقة لا يدعو و لكنه لا يريد الأمر أصلا لا شعوريا, أو يتكاسل و يتخاذل, فدعاءه باطل. و لكن قد يتولد في الداعي دافع لا شعوري من تكرار الدعوة, فيصبح قابلا للعمل لتحقيق دعوته. و بحسب هذه القاعدة فلا يوجد دعاء باطل الا في حالة كون الشخص يرائي الناس, لأنه عندها سيكون يكرر الكلام ليسمع الناس لا ليسمع نفسه.

فالدعاء الصحيح قد يصدر من عاجز عجزا تاما, أو من راغب في أمر و لكنه لا يعلم وسيلة تحقيقه, أو يعلم و لكنه يخشى الصعوبات فيستبدل جهد العمل و التجربة بأن يتمتم بكلمات فيجعل الأمر في يد الله القوي العزيز.

فاذن الدعاء تجسيم للعجز أو الرغبة. و العاجز الذي يدعو هو في الحقيقة يرغب في هذا الأمر الذي عجز عنه فالدعاء دائما يعبر عن رغبة. فهو أحد الأعمال التي يقوم بها الانسان ليحقق رغباته. فكما أن فعل الشخص و أحلامه و كلامه عامة يدلون على ماهية نفسه فكذلك من دعوات الانسان نستطيع أن نكشف عن نفسه و أهم رغباته الباطنية, ما لم يكن ببغاء أو مرائي فهؤلاء لا دعاء لهم الا قليلا. و لعله يؤثر فيهم و لو بعد حين.

فكيف نعرف الببغاء الذي يردد الدعاء فقط أو المرائي؟ بالنظر الى أعماله. و لكن بما أن الدعاء لا يصدر الا من عاجز في الأصل فكيف ننظر الى أعماله؟ أي أعمال سننظر اليها ان كان الرجل عاجز أصلا؟ و قد يرائي في كلامه كما يرائي في دعائه, و قد يكذب في أحلامه أو تبين أحلامه ما يرغب في أن يكون حقيقة في الخيال فقط و ليس في الواقع المعين, و على ذلك نكون لا نستطيع أن نميز الدعوة التي تعبر بصدق عن الشخص من الدعوة الزائفة.

المخرج هو أن ننظر الى ما يكره. فالشخص الذي يرغب في عمق نفسه أن يوجد حكم عادل مثلا فلا بد أن يكون يكره الطاغية. و الشخص الذي يرغب حقا في أن يكون جسمه نحيفا لا شك و أنه سيكره و لو بالكلام الطعام المضر المسمن. و هذه الملاحظة غير دقيقة بما أنه أيضا قد يكذب في كلامه, و من نحن حتى نراقبه ليل نهار سرا و علانية, فلا , هذا المعيار ضعيف.

ففي نهاية التحليل لا نستطيع أن نعرف مدى صدق الدعاء. و في الواقع لا يهمنا أن نعرف, اذ بما أنه عاجز فأي فائدة في تكرار كلمات؟ و لكن ماذا لو لم يكن عاجزا, و كان يدعو و سمعناه, و كان باستطاعتنا أن نوفر له ما عجز عنه, فلو فرضنا أننا لا نهتم فسنكون قد عملنا عمل سيء؟ فالدعاء صادق حتى يتبين كذبه. كيف يتبين؟ بأن يعمل لتحقيق دعاءه اذا توفر له ما يحتاج اليه.

فالجاهل الذي يسكن و سط جهلة و يقول " يا رب علمني" و كان باستطاعته شراء الكتب و السفر, و لكنه فضل أن ينفق ماله على التوافه أو لا يريد أن يصبر على جهاد السفر, فهو ليس بكامل الصدق في دعوته. و لكن لو كان يعمل كل وقته لتحقيق دعوته, التي هي طلب العلم, فنراه يسأل و يقرأ و يشاهد البرامج و ما أشبه فهذا صاحب دعاء صادق, و أمثال هذا وحدهم هم أهل الدعاء الحق. فالداعي الحق يخلق الوسائل لتحقيق مضمون دعاءه. و الداعي الغبي يريد أن يتمتم بكلمات حتى يرضي نفسه بأنه عمل ما عليه و الباقي على الله.

فاذن الدعاء حافز على العمل ليس الا. و لو كان الله يستجيب للدعاء كما يظن العوام لما وجد فقير على الأرض, اذ هؤلاء من أصحاب القلوب البسيطة الطاهرة التي لا تريد من الدنيا أكثر من القوت و الأمن. و مع ذلك يوجد مليارات منهم عل الأرض, و هم يدعون ليل نهار أكثر من أحسن العبّاد المترفين. و لكن عندما يتجمع الفقراء هؤلاء و يعاونوا بعضهم بعضا, أو يثوروا على الطغاة المسرفين فانا نراهم ينعمون بما كانوا يريدون من قبل في أحسن الأحيان. فالمتغير المستقل هو العمل, أينما وجد وجد أثره, و أينما فقد فقد أثره - مع توفر باقي الشروط طبعا و انما نذكر العامل الاهم من حيث الاخذ بالاسباب.

اجمعوا كل العباد الموحدين العلماء المخلصين في المسجد الحرام, و احبسوا شابا مؤمنا تقيا طاهرا في غرفته, ثم اجعلوا كل العباد يدعون الله ليل نهار لكي يصبح جسم هذا الشاب الطاهر قويا منفوخ العضلات , و اجعلوهم يستمروا في الدعاء 20 سنة بشرط أن لا يمارس الشاب أي نوع من الرياضة و لا يأكل الا قليلا. ثم احضروا شابا ملحدا فاسقا فاجرا يسب الله و رسوله ليل نهار, و احبسوه في نادي رياضي مجهز بأحسن التجهيزات مع أحسن مدربين كمال أجسام في العالم و كل ما يلزمهم من طعام و أغذية, و اجعلوه يتمرن 20 سنة. ثم أروني من منهم سيصبح ذا جسم مفتول العضلات, القابع في الغرفة بلا عمل و الذي يدعو له أتقى الخلق و هو نفسه, أم الملحد الذي يجتهد في العمل!

لا يوجد غير العمل في الواقع لتحقيق الدعاء. فعملك هو الذي يحقق لك دعاءك, و يد الله مع العامل. هذا هو الأصل. و ان كان للاستثناء احكامه.

(الدراسة) دراسة كتاب تعني أن تقيم في عقلك نفس الروابط التي يقيمها الكاتب في عقله, و الفهم قد يصاحبه اقتناع أو لا. فقد تفهم ماذا يعني الكاتب و لكن ليس بالضرورة أن توافقه على ما يقول. و كذلك دراسة كتاب الله تعني أن يصبح عقلك مشابه او مقترب من عقل الله, لأن الكتاب انما هو تجسيم لعقل الكاتب اذ انه يكشف عنه. (و لا يستغربن سطحي يعتقد ان لله عين و رجل و يرضا و يغضب، و يجد لذلك تأويلا او معنى يقبله ، او يقول : له عين لا كالاعين و رجل لا كالارجل ، ثم لا يجد لعباره "عقل الله " تأويلا ام معنى مقبولا . فليقل : عقل لا كالعقول و لا يشاغب).

فكون كتاب الهي يحث الناس على أن يدرسوه يعني ذلك أن عقول الناس فيها القابلية أن تشابه عقل الله. و لكن قد يكتب العالم العظيم كتابا للصغار, و لا يدل ذلك على أنه قد وضع كل عقله في كتابه هذا, و لكن لو كان الكتاب يذكر أنه يذكر الحكمة الكاملة لصاحب الكتاب, فعندها نعم يكون قصد الكاتب أن يبلغ الذين يكتب لهم أن عقلهم و عقولهم في درجة واحدة أو قد تصل و ترقى الى درجة واحدة.

فأمامنا احتمالين و فرعين: اما أن الله قد وضع كل حكمته في كتابه أو بعضها فقط, و إما أن الكتاب لمجرد التلاوة التي هي تحريك اللسان بالالفاظ أو الدراسة.

لو وضع كل حكمته و أمر بمجرد التلاوة, فعقول الناس لا يمكن أن ترقى الى عقل الله. و لو وضع بعض حكمته و أمر بمجرد التلاوة فنفس الأمر السابق.

لو وضع كل حكمته و أمر بالدراسة, فنعم عقول الناس من عقل الله و يمكن أن ترقى الى درجته او يقتربوا منها. و لو وضع بعض حكمته و أمر بالدراسة, فعقول الناس قد ترقى الى درجة عالية و لكن ليس الى عقل الله نفسه.

فعلى أصحاب كل كتاب أن يعرفوا أين يقع كتابهم من هذه الاحتمالات الأربعة الممكنة.

فاذن أعظم كتاب هو الذي وضع الله فيه كل حكمته و أمر الناس بدراسته. لأنه بذلك يظهر أن عقل الانسان قد يرتقي الى عقل الله, و هذا هو الكبر الأعظم, و بذلك يتحد او يقترب الانسان من الله بكونه يفهمه حقا و في عقله نفس أفكار الله التي كشفها في كتابه- هذا بالطبع على فرض ان الكتاب كتاب الله.

(الدعوة) هي العمل الاجتماعي بمقتضى أمر الكتاب. فالكتاب الذي يحث أهله على الدعوة لا شك و أنه كتاب اجتماعي يريد أن يخلق مدنية او محيط اجتماعي معين بحسب رؤيته, و الكتاب الذي ينهى عن الدعوة أو لا ينظم شؤونها هو دين للعزلة الفردية.

و بما أن الدعوة هي نشر أفكار فلا بد أن يسبقها استيعاب شخصي لهذه الأفكار. فمنطقيا الدراسة قبل الدعوة دائما. فأينما وجد كتاب يعلم نشر الدعوة فهو و لا بد يعلم الدراسة.

(التأمل المجرد) بما أن هذا النوع من الصلاة ليس عمليا, بل مجرد شعور بالوحدة الكاملة, و هو شعور عظيم حقا, فهذا أمر فردي. فلا أحد يستطيع أن يصف طعم العسل لشخص لم يتذوقه بنفسه. و الذي تذوق العسل لا يحتاج الى سماع وصفه, فلا فائدة من وصف هذه الحالة, هذا لو كان يوجد من يستطيع أن يصفها أصلا. و أحسن ما يقال انما يقال لكي يتحمس الناس للشعور بهذه الوحدة. و بسبب هذا وصف من وصف, و بسبب مثل العسل لم يصف من تذوق من المتألهين.

و هذا التأمل منصب على مفهوم الوجود المطلق. االذي هو الأساس الأول الذي يصمد مهما شككنا في كل شيء. ففي الحقيقية التأمل المجرد أساس كل تأمل آخر, و الذي لا يشعر بهذه الوحدة في عمق سره فهو مبتور عن الجوهر الأكبر و ناقص في القلب.

و هذا التأمل لا يحتاج الى أكثر من السكون التام. سكون الجسم عن الحركة و سكون القلب عن أي فكرة. و في عمق هذا السكون العميق, و زوال عالم الجسم و العقل, يشعر المتأله بالوحدة الجامعة لكل شيء, و يرى الوجود الواحد الذي هو كل شيء. و من هنا ينطلق الانسان الى العوالم الأخرى بالكمال.

فاذن بحسب احدى التدرجات و الاعتبارات, للصلاة أربعة معاني: التأمل المجرد ثم الدراسة ثم الدعوة ثم الدعاء.

و بما أن الدعاء هو عمل العاجز فيجب أن ينظر أهل كل كتاب عن مدى ضرورة وجوده من عدمها, لأنه غاية السلبية في أكثر الناس في أكثر الأحيان .

و بما أن التأمل المجرد لا يقوم به من يشعر بالوحدة الا من باب التذكر, و عدم رؤية الوحدة في الأصل يعني الايمان بجوهريه الكثرة و هو باطل في الجوهر, فاذن التأمل المجرد باطل و لا يقوم به الا كاذب من هذه الحيثية, اذ هل تتصور الكثرة في الأصل؟ اذ لولا تصوره هذا لما سعى الى التأله. لو كان يرى الوحدة في الأصل لما احتاج الى التأله الا للتذكر.

فاذن الصلاة الحقيقية هي في الدراسة و الدعوة.

و الدعوة قد تكون بالكلام و قد تكون بالفعل. فأي دين عنده صلاة أولى من الدراسة و الدعوة أو غيرهما يجب اعادة النظر فيه, لأنه يعلم السلبية و الخنوع أو الغرق في الأوهام. لأن الذي يحث الناس على التأله فقط أو الدعاء فهو اما كاذب و اما عاجز. و الصدق و القدرة أساس كل دين متعالي.

و بما أن الدعوة لا تكون منطقيا الا من نتائج الدراسة. فهي صلاة متفرعة.

فاذن نخلص في هذا الباب الى أن الصلاة الحقيقية الواقعية العالية الوحيدة هي الدراسة. و منها يتفرع البقية.

بعض الكلمات أوعية يملأها الكاتب بالمعاني. و كلمة "صلاة" وعاء فنريد أن نعرف بماذا ملأه الله في كتابه. و اذا جمعنا كل الآيات التي تذكر الصلاة و كل تصريفات جذرها الأصلي سنرى أنه لا يوجد الا كلمتين "صلاة" و "يصلى" بمختلف التصريفات. مع العلم أن القرءآن يكتب صلاة هكذا "صلوة" و سنبين لماذا لاحقا ان شاء الله ، و ان كان قد ورد " صلاتهم " و " صلاته " بالألف . و لكن كلما ورد ذكر الاقامه ، جاءت " اقاوموا الصلوه " ، و يكاد يقترن اقامه الصلوه دائما بذكر ايتاء الزكوه او الانفاق مما رزق الله.

أما كلة "يصلى" فيقصد بها دخول الشيء و الاتصال به جبرا. مثل "ثم الجحيم صلوه". و بما أنه "لا اكراه في الدين" فلا جبر في "الصلوة". و بما أنه استعمل نفس الجذر, فالمعنى الأساسي للصلوة هو دخول شيء و الاتصال به طوعا و باختيار.

و بعد تحليل الآيات التي ذكرت الصلوة في كل كتاب الله نخلص الى الآتي: الصلوة هي دراسة كتاب الله. فهو الشيء الذي ندخله بعقولنا, و نتصل بمعانيه و روحه بقلبنا, و نختار ذلك بارادتنا.

و ها هو تفصيل مختصر لهذا الامر.

يوجد ثلاثة أمور جعلتنا نرى أن الصلوة هي دراسة كتاب الله و الدعوة اليه, و اقامة الصلوة هي العمل بما في الكتاب: أولا الوصف السلبي. ثانيا مقدمات الصلوة. ثالثا نتائج الصلوة.

أولا "الوصف السلبي" . عندما يقول الكتاب "فلا صدق و لا صلى" نفهم بداهة أن الصلاة غير التصديق. و عندما يقول " قل ان صلاتي و نسكي" نفهم أن الصلاة غير النسك. هذا معنى الوصف السلبي. أي كل الأمور التي تغاير مفهوم الصلوة و تكون مقترنة بها مثل التصديق و النسك في المثلين السابقين.

و اذا جمعنا كل هذه الأوصاف السلبية فسنرى أن معنى الصلوة هو غير كل هذه المعاني و مفارق لها اي بالمعنى الاخص للصلوه و ان وجدت صلات مشتركه بالطبع(التصديق, ذكر الله, النحر, الزكاة, تلاوة القرءآن, الاستجابة للرب, العبادة, التمسك بالكتاب, النسك, التسبيح, الدعاء)

و لا يوجد معنى للصلوة يغاير كل هذه المصطلحات و الكلمات الا شيء واحد " الدراسة و الدعوة" اي مجموع الدراسه و ما يفيض منها من دعوه.

ثانيا "مقدمات الصلوة" . عندما يقول الله " الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة" نفهم بداهة أن الذي لا يؤمن بالغيب لا يمكن أن يقيم الصلوة, فاذن الايمان بالغيب مقدمة ضرورية او ميسره لاقامة الصلوة.

فاذا جمعنا كل مقدمات الصلوة فسنجد أنها هذه (ذكر اسم الله, الايمان بالغيب, الايمان بالرسل, الدعاء لاقامتها, الطهارة, التمسك بالكتاب, التوبة, الايمان بالله و اليوم الآخر, الانابة, التقوى, الاخلاص التام, جعل البيوت قبلة)

و كل هذه المقدمات ضرورية او تكميلية تحسينية لدراسة الكتاب. و هذه هي الحجة المبينة الثانية.

ثالثا " نتائج الصلوة" . عندما يقول الله " ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر" فهذا يعني أن الصلوة يجب أن تحوي في نفسها ما يجعل الانسان ينتهي عن الفحشاء و المنكر, فالانتهاء عن الفحشاء هو من ثمار الصلوة. و لكي تكون كذلك فيجب أن تكون الصلوة تؤدي الى فهم ما هي الفحشاء و ما هو المنكر , و لماذا يجب على الانسان أن ينتهي عنهما, اذ هل تستطيع أن تنتهي عن شيء أنت أصلا لا تعرفه؟ هذا مستحيل. يجب أن أعرف الشيء ثم أستطيع أن أتركه. و لذلك اذا قلنا أن معنى الصلوة هو القيام بحركات جسمانية و تمتمة أمور فكيف يكون هذا ينهى عن الفحشاء و المنكر؟ (اللهم الا ان يكون المقصود انه في حال قيام الشخص بهذه الحركات هو لا يرتكب الفحشاء و المنكر لان كونه في هذه الصلاه يحول بينه و بين ارتكاب الفحشاء و المنكر ، و هذا ما عقله بعض العلماء و منهم الشيخ الاكبر ، و هذا من عجائب الاستنباط ، اذ لو كان هذا هو المعنى لكان الدخول الى الحمام لقضاء الحاجه ايضا كالصلاه ينهى عن الفحشاء و المنكر لانه في هذه الدقائق التي يكون الانسان يقضي فيها حاجه بدنه لا يستطيع ان يقوم بفحشاء او منكر ! فبالرغم من ان لهذا وجه ، الا انه ليس الوجه الاكمل و الادق ، فتأمل هذا) هذا معنى أن يكون الشيء من نتائج الصلوة و ثمارها.

فاذا جمعنا كل نتائج الصلوة, أي الأمور التي ارتبطت بها و ذكرت بعدها في كتاب الله فسنجد أنها هذه (الانفاق, ذكر الله, تنهى عن الفحشاء و المنكر, الشورى, ترك ما يعبد الآباء الضالين, وصايا المسيح و شؤونه, عدم اتباع الشهوات الجسمانية السيئة, الزكوة, الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر, الاعتصام بالله و عدم التفرق, التقوى, الاصلاح, الأخوة في الدين, طاعة الله و رسوله, الرحمة, قد تعرض المؤمن لفتنة الكفار و أذاهم, التسبيح, النسك)

و لن تجد أبدا أبدا صلوة يمكن أن تنتج كل هذه الثمار الا دراسة كتاب الله. و هذه هي البينة الثالثة.

فاذن نخلص الى أن الصلوة في كتاب الله بالأصل هي دراسة كتاب الله و فرعها الدعوة الى كتاب الله.

فالصلوة هي الدراسة و الدعوة.

3 (سؤال: ان الله أقفل كل الأبواب الا باب سيدنا محمد صلى الله عليه و اله, و بذلك يكون كل من لا يقتدي به و يصلي الصلوات الخمس التي علمه الله اياها ليلة المعراج فان هذا لن يصل الى الله. و بناء على ذلك يجب أن نصلي الصلوات الخمس ان أردنا أن نصل الى الله. ما تقول في هذا؟)

الجواب: "هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين". قد سألت مسألتك و قد وعيتها, فاستمع جيدا لهذا الجواب فاني سأجيب عن مسألتك قطعة قطعة.

أما قولك "الله أقفل كل الأبواب الا باب محمد" فهذا ليس من القرءان في شيء جملة و تفصيلا الا باعتبار أن القرءان يهدي للتي هي أقوم. و كل طريق غير طريق القرءان في أغلب الأحيان يؤدي الى الفشل. و لكن يوجد أناس لم يمسكوا القرءاه العربي في حياتهم و مع ذلك هم يسيرون على طريقة القرءان. فالعبرة للمعاني و ليست للمباني.

ثم ان هذا القول مأخوذ من دين الصليبيين, فهذا الرجل العبراني المصلوب (و أقول ذلك لأنهم يفتخرون به) هو الذي قال أن الهه قد أقفل كل الأبواب الا بابه و كل من لا يدخل منه و عن طريق وساطته فهو آيل الى الجحيم. و معلوم أن الأحزاب عندنا يحبون دين العبرانيين و الصليبيين و قد اقتسبسوا الكثير منهم ، و بتعبير رواياتهم انهم سيتبعونهم حذو القذه بالقذه حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلوه.

و على فرض صحة المقولة فان باب محمد هو كتاب الله, و ليس كتبكم التي تنسبوها اليه. "قل انما انذركم بالوحي" "فذكر بالقرءان من يخاف وعيد" و نحن نعبد الله و لا نعبد بشر.

ثم ما معنى "الوصول الى الله" ؟ ماذا تقصد أنت بأسم "الله" هنا ؟ ان كنت تقصد شيء يشبه رجلا جالسا في السماء فهذا لن يصل اليه أحد لأن وجوده الوحيد هو في خيالك. و ان كنت تقصد "الأول و الاخر و الظهر و الباطن" فهذا أقرب اليك من حبل الوريد, فعن أي وصول تتحدث و هو أقرب اليك من نفسك. و ان كنت تقصد عقل العالم و نظام سنن الوجود, أي سنت الله في الخلق, فهذه كلها في القرءان. و ان كنت تقصد "ما ينفع الناس" فهذا أيضا في القرءان و طريق معرفته هو الدراسة, و معروف أيضا عن طريق دراسة التجارب الانسانية. فهذه الحركات الطقوسية التي تسميها صلاة لا محل لها في مبحث "الوصول الى الله" او على الاقل ليست حكرا عليها. و ان كان لله مقام يمكن للانسان أن يصل اليه فليس هذا الا بدراسة كتاب الله, الافاقية و النفسية و هذا القرءان العربي. و ما عدى ذلك فهو أوهام و انعكاسات نفسية لعقائد وثنية أو طموحات الكبرياء الجوهري.

أنت تقول أن الذي لا يصلي الصلوات الخمس لا يصل الى الله. أقول: ان في قصة المعراج التي تدعيها رد كافي عليك. ألم يصل النبي الى الله في المعراج و لم يكن يمارس الصلوات الخمس بعد؛ فالله عندكم قد علمه اياها بعد أن وصل اليه. فسيدك محمد (و أقول هذا لأن محمد عندنا غير محمد عندهم) وصل الى الله, الى اعلى نقطة في الامكان حتى أعلى من الملائكة المقربين بدون الصوات الخمس و لم يكن يعرف عنها شيء. هذا باقراركم أنتم. و الحمد لله أنكم شهدتم على أنفسكم. فالله يجتبي اليه من يشاء. و علمي بدينكم أن النبوة ليست كسبية تكتسب بالمجاهدات و الطقوس الروحية, بل هي اختيار مباشر من الله بدون أي تدخل من الانسان. فمهما قلبت وجوه النظر في ساحة الفكرة التي تطرحونها فانها كلها ضدكم. و يكفينا أن النبي وصل الى الله (أيا كان معنى هذا اصلا) بدون أن يمارس أي طقوس مثل الصلوات الخمسة. فهذه لناعليكم منكم. (و ان قيل انه كان يصلي ركعتين منذ البدء، لقلنا اولا هاتوا برهانكم ، و لقلنا ثانيا : هذه ليست الصلوات الخمسه التي تزعمون انها فرضت في المعراج، فالحجه قائمه).

و أيا كان تعريفك لاسم "الله" الذي تريد أن تحتكر الوصول اليه بالصلوات الخمس الطقوسية, فهذا كيف وصل اليه كل الناس العارفين قبل سيدكم محمد عليه السلام, و كل العارفين بعده و الذين لم يكونوا و لا زالوا لا يقومون

بهذه الطقوس الخمسة؟ و ماذا عن غير العرب الذين لم يبعث لهم محمد عليه السلام, و ماذا عن أهل الكتب, و ماذا عن المتاملين و المتألهين الذين يقضون كل حياتهم الواعية في التأمل في الذات العليا المقدسة, و ماذا عن المفكرين الذين يعصرون عقولهم ليل نهار لكي يحسنوا الحياة للناس و يطوروها لهم, فهؤلاء "وصلوا الى الله" بدون القيام بهذه الطقوس أو الصلوات الخمسة.

ثم على فرض أهميتها العظيمة و كونها "عمود الدين" و هو فرض بعيد جدا عن الواقع و القرءان الكريم, و لكن لا بأس فلنفرض المستحيل و الصعب حتى لا تبقى للناس على الله حجة بعد الرسل: كيف لا ينشغل القرءان بذكرها, و يفصلها تفصيلا مثل ما فعل في كل الأمور الأخرى التي فصلها و التي لا ترقى أن تكون عمود الدين بل انها من مكروهات الدين مثل الطلاق و مع ذلك فصله في عشرات الايات بل جعل لها سورة خاصة ؟! نرى كتاب الله يفصل الزواج و الطلاق في عشرات الصفحات, و لكن لم يفصل صلاتكم هذه. نراه يفصل الدين في اطول اية في الكتاب ولم يفصل صلاتكم هذه. نراه يفصل قصة موسى عشرات المرات و لم يفصل صلاتكم هذه. نراه يفصل بقرة موسى و لا نراه يفصل صلاتكم هذه!! نراه يخصص سورة كاملة لأبي لهب و امرأته حمالة الحطب و لا يخصص بضع ايات ليفصل عمود دينكم هذا. ان القرءان فصل خمسين ألف موضوع و لم يفصل صلاتكم هذه! ألم يحن الوقت لتكفوا عن الكذب على الله و تتوبوا. "ألم يأن للذين ءامنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق"؟

دراسة الصحف المطهرة هي معراج المؤمن. و لذلك ترى الذين لا يأخذون بهذا المعراج الحقيقي بالرغم من قيامهم بطقوسهم التي ما أنزل الله بها من سلطان , تراهم في عقولهم و مجتمعاتهم في أسفل سافلين. كلامنا يشهد له القرءان و الواقع, كلامكم هباء منثورا. و ان وجدت عاقلا و عارفا فسترى ان الدراسة اساسه. و التأملات و ذكر الله عمله بغض النظر عن الطريقة الطقوسية الشكلانيه.

فان قلت: ان القرءان فصل هذه الصلوات. أقول : هاتوا برهانكم. لو كان كما تقول صحيحا لأخرجه أئمتكم من قرون. و أيضا يكون قد امتنع عليكم أن تحاجوا أهل القرءان بحجة ان القرءان ناقص لا يحوي تفاصيل هذه الصلوات و أنه أحالنا على مصدر أو مصادر خارجية. فان أتيتنا بالتفصيل من الله فنحن اول القابلين. و ان لم تأتوا به فألا تكونوا من التائبين. و علا كلا الاحتمالين نحن راضين.

و ان قلت: أن القرءان لم يفصل كل شيء. أقول: يقرر الله ربنا و ربكم في كتابه " و تفصيل كل شيء" . و انا أشهد على صدق هذا القول الى يومي هذا. أما أنت فيظهر انك لا ترغب في تصديق الله و لم تدرس القرءان دراسة موضوعية فعلا و بعمق و هذا لا يخصني في شيء. القرءان فصل ما يريد الله ان يفصله, و ليس ما تريد انت او غيرك أن يرى تفاصيله في القرءان, و الفرق كبير فتأمل.

و ان قلت: أن دراسة القرءان ليست متاحة لكل أحد. أقول: الذي يجعل الصلوات الخمسة متاحة لكل أحد عندكم يجعل دراسة القرءان متاحة لكل أحد أيضا. ثم ان القرءان ليس للبهائم و لكن "لقوم يعقلون" فالذي يريد ان يحيا كالأنعام فهذا حر فليفعل ما يشاء و لكن نحن لن نحرف الدين من أجل هذا أو غيره. و ماذا تعني "غير متاحة"؟ الانشغال بالعمل للمعيشة: الكل مشغول بها الى حد ما و هذا لا يمنع تخصيص وقت لدراسة أعظم كنز في هذا الوجود, مثل ما تخصصون الان وقت لطقوسكم واعيادكم و لهوكم و لعبكم و غيرها. ام تقصد الجهل بالقراءة و الكتابة: فهذا قليل في عصرنا, و على الكل أصلا أن يتعلم و الحكومات تسعى لذلك بقوة و لن يعدم أحد المعلم اذا شاء أن يتعلم من أجل القرءان او غيره.ام تقصد عدم حب الدراسة و التعمق العلمي و الروحاني: فهذا ليس من

أهل القرءان أصلا, و بحسب رؤيتي فان السبب الاصلي لهذا راجع الى عرض الدين بطريقة محرفة و ممسوخة يؤدي الى كره الناس للاقتراب من الشؤون الدينية و الالهية, و أيضا بسبب قيود نفسية أخرى حللناها في مواضع أخرى. و أما ان أراد أن يهز لسانه و يقول "الله الله" فليفعل, و هذا لا علاقة له بالهروب من فرض دراسة القرءان علينا. و هو فرض اختياري و ليس اجباري. و من فهم حقيقة القرءان او طرف منها لن يرى دراسته الا أعظم عمل في هذه الحياة.

هذا غير قصة الاسراء و المعراج التي يحيط بها الافتراء من كل جانب, و قد خصصنا مقالة كاملة لهذا الموضوع فليراجعها من شاء, و اكتفي هنا باشارة واحدة لمن كان له قلب او القى السمع و هو شهيد, فاقول: الذي يعتقد ان الله يهتم بقصة اصحب الفيل و التحدث عن الذباب و النحل, و لا يهتم بذكر قصة مهمة جدا (او هكذا يفترض) مثل قصة الاسراء و المعراج بالتفصيل, احسب ان مثل هذا فيه امر غير سوي ينبغي ان يتأمله فورا.

فاذن, مسألتك غير دقيقة و صحيحة جملة و تفصيلا.

4(مسألة: دراسة القرءان تدخل في حيز الفكر و العقل, و لكن هذه الصلوات الخمس تدخل في حيز السماع. و معلوم أن الله يقول "لو كنا نسمع أن نعقل ما كنا في أصحب السعير" و كذلك يوجد ذكر و يوجد فكر كما في ال عمران "الذين يذكرون الله... و يتفكرون في خلق السموات و الارض" فالصلوات الخمس تدخل في حيز سماع الله و الاستلهام الروحي منه و في مساحة العشق و اما الدراسة ففي مساحة الفكر و الخلق. ما تقول في هذا؟)

الجواب: هل تستطيع أن تسمع و أنت تتكلم؟ لو كنا أنا و أنت نجلس في مكان ما, و أنت تريد أن تسمعني. فماذا تفعل؟ تنصت. أي تسكت عقلك و لسانك و تنصت لي بكل طاقتك و استطاعتك. هذا ان رغبت أن تسمع لي حقا. و لذلك قال " و اذا قرئ القرءان فاستمعوا له و انصتوا لعلكم ترحمون"

فعندما تقول أن هذه الصلوات الخمس للسماع, فهذا يقتضي أن يكون الكلام فيها معدوما. أي تكون كلها مجرد انصات. و لكن الواقع انها كلها كلام في كلام من أولها الى أوسطها الى اخرها و الى ما بعد اخرها, بل و قبل البدء فيها. تبدأ بكلام الاذان و الاقامة, و تفتتح بكلام التكبير, ثم في كل حركة و سكنة كلام من تلاوة و اذكار, ثم في الانتقال من حركة الى حركة أيضا كلام, ثم في جلستها الختامية كلام, ثم تختتم بكلام التسليم, ثم يأتي كلام أذكار ما بعد الصلاة. باختصار كلها كلام. و لو كانت مصممة للسماع لكانت كلها انصات, أو على الأقل أغلبها انصات. و هذا ما يخالف الواقع كما هو عندكم. (و ان كان يوجد احتمال ان يكون الغالب فيها هو الانصات ، و هو مشهود له في روايه "ارجع فصلي فانك لم تصلي" على اعتبار ان الذكر الوحيد فيها هو تلاوه الفاتحه ، ثم الباقي كله انصات، اللهم الا في الختام. و هذا احتمال جيد).

ثم فكرة الانصات الباطني لله و الاستلهام منه هي عقيدة تدخل في حيز الكفر و الالحاد و الزندقة عند عامة أهل الأحزاب, و العرفاء الذين يعتقدون ذلك لا محل لهم بين الناس. فالسائد أن الوحي قد انقطع, و من أنت حتى يكلمك الله! تسعة أعشار الناس عندما يقومون بهذه الطقوس لا يقومون بها لأنهم يريدون أن يستمعوا الى صوت الله في قلوبهم او الاستمداد من نور الملكوت أو اللاشعور و ما شابه. انما يقومون بها لسبب الخوف من نار جهنم على الاغلب و هذا له الاولوية. نستطيع أن نبرر أي طقس ديني بمقولات عرفانية و خيالية و خرافية. ما أسهل هذا! فنحن هنا لا نتحدث عن الطقوس و أهميتها, و لكن بحثنا منصب أساسا على معرفة ماهية الصلوة من كتاب الله العربي. أي هذا القرءان.

نعم اني أرى فعلا أن الانصات الباطني امر في غاية الأهمية. و هو ما اذكره تحت مسمى التأمل أو التاله أحيانا لأسباب أذكرها في موضعها. و لكن يجب ان لا نخلط بين هذا التأمل الباطني و بين الصلوة في القرءان. التأمل الباطني ليس له طقوس معينة, و تستطيع ان تتخير لنفسك أي وضعية أو حركات لتقوم به. و الفرق هو أن أصحاب هذا الدين يدعون أن طقوسهم هي الطقوس "الوحيدة" المقبولة عند الذات المقدسة. و هنا محل الاختلاف الأساسي معهم. فلو قالوا ان هذه حركات نحن نحبها و لكن ليس على الكل أن يقوم بها فعندها سنكون من اصحاب الفضول و لعلنا نتقرب اليهم لنفهم وجهتهم و تجربتهم أكثر فأكثر. و لكن أن يكونوا كالطفل الذي يرى أن ألعابه أحسن من ألعاب الاخرين و على كل الاطفال و الكبار أن يلعبوا معه فهذه مسألة أخرى.

فهذه الصلوات لم تعمل للسماع لأنها كلها كلام. ففكر في الأمر مرة أخرى.

5 (كيف نختم جلسة التأمل؟)

من الناس من يحب أن يخصص لنفسه وقتا معينا للتأمل أو للصلاة و ما شابه. المقصود هو فعل معين مما يدخل تحت بند العبادة او التفريغ النفسي او الاستلهام. و نتسائل هنا: كيف نعين و نختم هذه الجلسة؟ اذا نظرنا و توسعنا

سنرى أن الناس في كل زمان و مكان كانوا يعينون هذه الختمة بواحد أو اكثر من هذه الطرق الخمسة: بالحركات, بالأقوال, بالتنفس, بالوقت الزمني, بالاشراق.

بالحركات مثل الصلوات الخمسة المشهورة, فيوجد حركات معينة اذا فرغت منها فرغت من الصلاة, و ممزوجة بالأقوال, و لكن الغلبة للحركات, أو ما يسمى بالركعات. و كذلك مثل الرياضة الجسمانية فانها تختتم بالحركات غالبا.

بالأقوال مثل قراءة ورد معين. كمثل من يحدد لنفسه دعاءا معينا, أو أن يقول ذكر معين كذا مرة. فعندما يفرغ من قوله تكون الجلسة قد انتهت.

بالتنفس مثل بعض المتأملين الذين يجعلون الجلسة تتكون من مئة شهيق و زفير. و تختم بذلك.

بالوقت الزمني مثل ان تجعل الجلسة من الساعة كذا الى الساعة كذا. أو من الفجر الى بعد طلوع الشمس. سواء تم الاستدلال على الوقت بالساعة الرقمية الحديثة, أم بالشمس و القمر و حالة السماء و هي الساعة الافاقية الطبيعية.

بالاشراق كأن تجعل الوصول الى غاية الجلسة هو ختامها. مثل أن تكون عندك مسألة معينة تريد أن تعرف جوابها, فتجلس للتأمل فيها و لا تقوم حتى تصل الى غايتك و ينكشف لك الجواب.

بالطبع نحن لا نستطيع أن نضع قاعدة عامة لأحسن طريقة تختتم بها كل الجلسات. لأن هذا سيعتمد على نوع الجلسة نفسها و الغاية منها. و لكن ما يمكن ان نقوم به و يجب ان نقوم به هو أن نختار أحسن طريقة لكل نوع من الجلسات. و ما يهمني هنا هو "التأمل العقلي" الذي هو من الدراسة الباطنية.

كبداية يجب أن نعرف أن الذي يريد العلم الكبير لا يتوقف عقله. لا يوجد حد لتفكيره. فالأصل أنهم على صلاتهم دائمون. و لكن تفريغ و تخصيص وقت يكون للتأمل بتركيز أكثر و عمق أكبر يكون من الضروري. فالذي يفكر و هو يأكل الطعام و يمشي في الاسواق ليس كالذي يفكر و هو منعزل في مكان هادئ مخصص للتأمل. نعم, العالم يفكر هنا و هناك, و لكن مع ذلك يحتاج الى اوقات مخصصة لكي يضع كل طاقته في جهة واحدة بدل أن تكون مفرقة و مشتتة بين عشرة جهات. و هذه الجلسات سنسميها من الان فصاعدا "جلسات التأمل".

و الان, ما هي الطريقة الأحسن لختم جلسة التأمل؟

أما الحركات و الأقوال و التنفس فطرق غير سليمة. اذ كلها تشتت التركيز و الطاقة. و اصلا لا علاقة لها بالحركة الفكرية القلبية. فالذي يحرك جسمه, او الذي يريد أن يختم ورده, أو الذي يريد أن يعد انفاسه, هؤلاء كيف ستعمل عقولهم بكامل طاقتها, لن تعمل بحق و بقوة.

التأمل سكينة قلبية تؤدي الى السماع من اللاشعور او الحدس الكشفي, أو حركة عقلية تؤدي الى بناء المفاهيم و هدم أخرى. و لا هذا و لا ذاك له علاقة مباشرة بحركات الجسم, أو ترديد الأذكار, او عد الانفاس.

فاذن كقاعدة: الحركات و الاقوال و الانفاس غير مقبولين كأساس في جلسة التأمل, أي لختمها و معرفة قدرها.

و يبقى عندنا الوقت الزمني و الاشراق. و كلاهما ينفع لختم جلسة التأمل. أما الاشراق, فاذا دخل الانسان في التأمل و عنده وقت فراغ طويل يستطيع أن يخصصه لهذا الأمر, فعندها من الاحسن أن يجعل اشراق الجواب أو الرؤيا هي علامة وصوله لغايته, و بذلك يختم. و أما لو لم يكن عنده رغبة في معرفة أمر معين بحد ذاته, و لو لم يكن عنده وقت طويل لا محدود ليقضيه في التأمل كأن تكون عنده أشغال أخرى, فهذا أو ذاك من الأحسن أن يحدد وقت الجلسة بالساعة الزمنية كأن يجعل مدة الجلسة ساعة او نصف ساعة, و لا يبالي بعدد الأفكار التي تشرق عليه, بل يجلس بصمت و يستقبل كل شيء يفيض على عقله الواعي, ثم يفرز و يحلل لاحقا.

فالذي يحدد أي المعيارين أنسب للمتأمل هو أحد أمرين أو كلاهما: وجود وقت فراغ, وجود رغبة معينة محددة.

الذي عنده وقت فراغ و عنده رغبة معينة: من الاحسن لو يأخذ بمعيار الاشراق.

الذي عنده وقت فراغ و ليس عنده رغبة معينة: من الأحسن لو يأخذ معيار الزمن و يجعله طويلا بقدر استطاعته و نفسيته.

الذي ليس عنده وقت فراغ لامحدود, كالذي عنده أشغال أخرى, من الأحسن دوما لو يأخذ بمعيار الزمن. و حتى لو كان عنده سؤال معين أو رغبة معينة فقد لا يصل الى ما يريد في جلسة واحدة, و لكن مع توالي الجلسات سيصل ان شاء الله.

فاذن نستطيع أن نضع قاعدة عامة تقول: اذا كنت تملك الوقت و الرغبة فانتظر الاشراق, و الا فحدد جلستك بالزمن.

6(عن العلاقة بين "لا اكراه في الدين" و الصلوة)

لقد حرف الأحزاب هذه الاية, و تعاموا عنها, و لم يعملوا بها. ان الناس تقرأ "لا اكراه في الدين" و لكنهم في واقع عقولهم يصل اليهم معنى الاية و كأنها تقول: لا اكراه على الدين. ما الفرق بين الاثنين؟

"لا اكراه على الدين" تعني على الدخول في الدين و القبول به جبرا. مثل قول الاحزاب لأهل القرءان "لتعودن في ملتنا أو لنخرجنكم من قريتنا قال أولو كنا كرهين".

"لا اكراه في الدين" أي أن الدين في نفسه لا يحوي اكراها. كقولنا "لا نجاسة في البيت" أو "لا طاغية في المجتمع" الدين في داخله, في امره و نهيه, لا يحوي أي اكراه أو جبر. و معنى ذلك أن كل أوامر الدين, دين الله بالطبع, هي أمور تقوم بها لأنك ترغب و تحب القيام بها. لأنك تعرف قدرها و قيمتها. لأنك ترغب بالقيام بها من نفسك.

الان, هذه الصلوات الخمس, هل يقوم بها عامة الناس عن حب أم عن اكراه؟ أكثر من تسعة أعشار الناس يقومون بها عن اكراه (و لم أقل كل الناس من باب التحرز العلمي فقط) اكراه عقائدي خوفا من جهنم و عقاب الله. و اكراه اجتماعي خوفا من القتل او الطرد أو حلول الخزي عليهم و استهجان الناس لهم. و لكي أزيد قولي هذا بيانا أقول: أنت أيها القارئ أو السامع اذا كنت ممن يعتقد في هذه الصلوات الخمس, اذا لم يكن الله سيعاقبك بجهنم على تركك لها أو تقصيرك فيها, و اذا لم يكن أهلك سيؤاخذوك على تركها, هل كنت ستفعلها؟ اني أراهن على أننا لو وضعنا هذا السؤال لكل من يرون أنفسهم مسلمين, فان أكثر من تسعة أعشارهم سيقولون لو أن الله فعلا لن يعاقب على تركها و لا المجتمع بل كانت اختيارية محضة فانهم سيقولون "لن أقوم بها" أو في أقصا الحالات سيفعلها في أوقات دون أخرى(و هذا يرجع في كثير من الاحيان الى أسباب نفسية أصبحنا نفهمها جيدا-و ليس لاسباب عرفانيه و هي التي عند القله المرحومه بالرحمه االخاصه) . فهؤلاء ليسوا في الدين الذي قال الله عنه "لا اكراه في الدين" اسأل عامة الناس لماذا تقوم بهذا الطقس على هذه الطريقة بالتحديد و انظر ماذا ترى. سترى اتباع على عمى, أو اعتياد على عمل, أو خوف من العقاب. فهؤلاء لا يفهمون ما يعملون, بل كأن فيهم شبه من الذين قيل فيهم "صم بكم عمي فهم لا يعقلون" . و لكن رغبة أئمة الأحزاب في أن تكون حظيرتهم كبيرة فهم لا يبالون بكلام فارغ مثل "الفهم و البصيرة و الاختيار" , كل ما يهمهم هو عدد الأنعام, حتى يحلبوهم متى شاؤوا !

أما نحن في دراستنا للقرءان, الصلوة الحقيقة, فاني أعلم من نفسي و من اخواني- بفضل الله تعالى- أننا لا نبالي بجنة و لا نار بعد موت الجسم, بل لا ندري و لا نجزم أصلا بما سيكون هناك "لا أدري ما يفعل بي و لا بكم, ان اتبع الا ما يوحى الي" و اني أعلم من نفسي خاصة - بفضل اكبر من الله- أنه حتى لو جاء الملائكة و قالوا أن هذا القرءان ليس كتابنا فاني سأظل أدرسه, و حتى لو قالوا أنه لا يوجد حياة بعد موت الجسم فاننا سنظل ندرسه و نجعل حياتنا و مجالسنا تدور في فلكه. هذا لأن الذي يتذوق القرءان الحقيقي و يقدره حق قدره أو أقل , و كل من يدرس القرءان بعيدا عن افك الاحزاب فان هؤلاء سيرون عالما جديدا, عالما عظيما, ملكا كبيرا. جرب بنفسك لترى.

الصلاة اكراه, الصلوة تقدير و حب. و قد تبين الرشد من الغي.فمن يكفر بالطغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها و الله سميع عليم. الصلاة تقوم بها لأشخاص اخرين, الصلوة تقوم بها لنفسك. فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه.

7 (سنت اليهود)

"ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة" كل الناس يعرفون الجزء المهم و العبرة المهمة من هذه القصة, أي قصد ذبح البقرة. و مع ذلك فان من أئمة الأحزاب من لا يتورعون عن التشبه باليهود بالرغم من ذمهم الشديد لليهود. و هذا طبيعي منهم لأننا تعودنا ان نراهم شعراء يقولون ما لا يفعلون.

يقول معظم أئمة الاحزاب: ان القرءان لم يفصل كل شيء, فهو مفتقر الى تفصيل و تخصيص السنة الموجودة في كتب شيوخنا. اذ ان الله أمرنا مثلا أن نقيم الصلاة, و لكن هل تجدون في القرءان تفصيل اقامة الصلاة؟ كم مرة

نصلي؟ كيف نصلي؟ اذ يمكن أن نصلي قياما او قعودا او على جنوبنا أو على ظهورنا أو باحتمالات كثيرة. فالاية عامة و السنة هي التي قيدت و فصلت. اقول: هؤلاء هم أشباه اليهود!

قال الله بموسى لليهود ان يذبحوا "بقره" فرد عليه اليهود "ان البقر تشابه علينا". فطلبوا التقييد و التخصيص. و جعلوا عدم وجود التقييد و التخصيص الضيق عذرا لعدم القيام بالأمر بالكلية. و كان الأنفع لهم- كما يعلم الناس- أن يتركوا الأمر على اطلاقه, فان وجدوا أي بقرة فليذبحوها, ليختاروا من البقر ما يتيسر لهم. و كذلك الأمر هنا, فان الله ترك أمر الصلوة مطلقا توسيعا على الناس. فمن أراد ان يقيمها في أي وقت أو وضعية فان الله لم يحجر عليه. فالله اهتم باللب و ليس القشر. بالمعنى و ليس المبنى. بالروح و الجوهر و ليس للصورة الميتة.

و لم يكتف هؤلاء بالتضييق على أنفسهم و الناس.و لكنهم استخدموا هذا الاطلاق الذي في مثل قوله "أقيموا الصلوة" لكي يطعنوا في الكتاب العزيز, و لكي يشركوا معه كتب و أفكار أخرى, و يأتوا بأوامر ما انزل الله بها من سلطان. ثم صولا في النهاية الى ترك كتاب الله و هجره. و هذا هو الواقع السائد اليوم. هجر لدراسة القرءان و العمل به فعليا و كليا من الكثير من الناس الا قليلا لا يذكرون كمثل أصحب الكهف.

"أقيموا الصلوة" مثل "اذبحوا بقرة" فكونوا مثل موسى و اتركوا الأمر على اطلاقه. و لا تكونوا مثل القردة و الخنازير و عبد الطغوت و تضيقوا على أنفسكم. و من الأفضل أن لا تطعنوا في كتاب الله لأن اوامره لم تعجبكم و تخدم مصالحكم في الحيوة الدنيا, و لم تخضع لهوى علماءكم و ساستكم. نحن على امر موسى و أنتم على خطى اليهود. فتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون.

8(نقد فكرة "الصلاة و حركاتها كرياضة جسمانية")

يقول الذين يريدون احسانا و توفيقا بين أمر الله و غيره, بأن لحركات الصلوات الخمس فوائد لصحة الجسم, فهي حركات رياضية جيدة. و يتخذون هذا كعذر يدل على اعجاز هذه الحركات, و بالتالي يستدلون على نسبتها الى الله. و أيضا يتخذونه كدافع زائد لتبرير استمرار اعتقادهم و عملهم بها.

أقول: من أراد أن يحرك جسمه فليمارس الرياضة. الرياضة الحقيقية المباشرة التي نعرفها كلنا, و ندخلها تحت بند "الرياضة". لا تخلطوا بين الأمور. الاتصال بالله, أيا كان معنى اسم "الله", هو أمر قلبي لا علاقة مباشرة له بكون الجسم واقفا على رجليه أم واقفا على شعر رأسه .

و اما الادعاء بأن لهذه الصلوات فوائد جسمانية رياضية و هذا من أهم أسباب صنعها هكذا. فان كل حركات جسمانية فيها فائدة سواء كانت مثل هذه الصلاة أم غيرها. فهذا القول غير صحيح على اطلاقه, و هو ليس أكثر من تبرير. فهل تجد أصلا جماعة أجسامهم من أسوأ الأجسام كما ترى بين هؤلاء الذي يقيمون الصلوات الخمس؟! فالادعاء بأن الصلوات الخمس تحسن الجسم, اذ تجعل الناس تهتم برياضة و صحة الجسم هو قول يكذبه واقع أشد الناس تمسكا و تعصبا لهذه الصلاة. فلا رجال الأحزاب و لا نساءهم في غالبيتهم العظمى لهم أجسام حسنة و صحية. و لا هم أصلا يهتمون كثيرا بهذه الأمور. انظر الى كبراءهم و عوامهم ترى مصداق هذا القول. من كل عشرة قد تجد ثمانية لهم أجسام عادية جدا أو حتى سيئة و قبيحة. أما كبراءهم فأكاد أقول أن من كل عشرة يوجد أحد عشر لهم أجسام سيئة !

و ان كان الأمر يرجع الى كون الحركات الرياضية تنفع الجسم, فاذن من الأحسن أن نمارس اليوجا الهندية, فحركاتها أحسن بسبعين مرة من حركات هذه الصلاة - اي لصحه الجسم و مرونته.

و كمثل بسيط دعونا ننظر في الحركة التي يسمونها "السجود". هذه الحركة- و أقول ذلك عن خبرة شخصية- مضرة للجسم على الأقل من ناحيتين: تؤذي الركبة, و تشوه الوجه. و كم عانت ركبتي بسبب هذه الوضعية و المداومة عليها و اطالتها. (قد تقول أن هذا رأي شخصي و يوجد غيرك لم تتأذ ركبته بسبب هذه الحركه المسماه بالسجود, أقول: هل فهمت اذن ما اعني عندما أبين أن الله لم يقيد حركات الصلوة! اذ أنت تعجبك و تنفعك حركة معينة و غيرك لا تنفعه فمن الظلم أن نعطي نفس الدواء الجسماني لكل الناس بلا تفريق.) و انظر الى وجوه "الساجدين" أصحاب البقع السوداء كدليل يصدق هذا القول. و أحسب أن يوسف لم يكن يملك هذه العلامة الجميلة التي هي بحسب تفسير الأحزاب مصداق قول الله "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" (و العجيب أن فطاحلة العربية لم يفرقوا بين "في" وجوههم و "على" وجوههم !) أترى أن نساء الطبقة العالية الثرية كانوا سيقولون عن يوسف "حاشا لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم" لو كان يملك علامة المتقين هذه على وجهه؟!

نعم قد تكون حركاتها تحرك العضلات و تجعل الدم يتحرك في كل أنحاء الجسم اذا أقيمت بهدوء و تنفس متناغم و عميق, و انا أشهد على هذا, و لكن اذا كنا نريد أن نصلي فمن الأحسن كما بينا سابقا لو كان التركيز كله على الحركة القلبية العقلية بدل الحركة الجسمانية و الاقوال المكررة. اذا انحرفت الوسيلة انحرفت الغاية معها. الصلوة وسيلة للعلم, و التأمل العقلي و الكتابة وسيلة العلم. فلا نحرف الوسيلة بحركات جسمانية طقوسية مثل هذه أو غيرها. فأعود و أكرر: اذا أردت صحة الجسم فمارس الرياضة و حسن التعذية. و اذا اردت صحة القلب فعليك بدراسة القرءان بالاسلوب الذي يعجبك و ينفعك و يؤثر فيك و يوافق ظروفك الحياتية و الاجتماعية و النفسية.

9(نقد فكرة "الصلاة كوسيلة لتوحيد الناس")

يقول الاحزاب أن الصلاة, في الجماعة, هي وسيلة جيدة لتوحيد الناس و التأليف بينهم. و أن هذا من الفوائد الاجتماعية للصلاة.

أقول: هل يوجد مجتمعات متفرقة متقاتلة متعصبة مثل ما يوجد بين من يسمون بالمجتمعات الاسلامية؟! ثم ماذا تعني بقولك "توحيد الناس"؟ هل هو توحيد أجسامهم في مكان واحد مثل الجنود في الجيش؟ فهذا لا يحتاج الى هذه الصلاة لفعله. نستطيع أن نخترع مئة طريقة و طريقة لجمع الناس في مكان واحد. فحتى الحفلات الموسيقية

تستطيع أن تجمع مئات الالاف من الناس في مكان واحد. و على العموم ليس أحد منهم مكره على القدوم بالمناسبة !

هل هو توحيد القلوب؟ فهذا لم و لن يتم الا بالقرءان "لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم و لكن الله ألف بينهم" , فتوحيد القلوب هو بكون القلوب تستقي من نبع واحد, و تتبع منهجا واحدا, و لهم غاية واحدة. فحتى الذين لا يؤمنون بالقرءان العربي, ان كان لهم مرجع واحد و غاية واحدة سيكونوا متوحدين. و أما أن نكون من الناس الذين تجتمع أجسامهم و تتفرق قلوبهم , "تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى",فهو كالسراب الخادع يحسبه الظمان الى القوة ماء.

و هل فرق المسلمين أحد مثل الأحزاب؟ عندما جعلوا للدين مرجعا دينيا و عمليا غير كتاب الله, هذا هو أكبر و أهم سبب لتفريق الناس. هؤلاء يستقون من ماء بئر فلان, و هؤلاء يستقون من ماء بئر علان, ثم يزعمون أن جمع الناس في مكان واحد لبضع دقائق او ساعات كل يوم يعني "توحيد الناس". أهل الأحزاب لا يريدون توحيد الناس و لو زعموا ذلك بألسنتهم. أهل القرءان هم الذين يسعون علما و عملا لتوحيد الناس حقا و صدقا.

اذا أردتم حقا توحيد الناس قلبا و قالبا فاجعلوا للدين مرجع واحد و هو كتاب الله. عندها يكون لكلامكم مصداق فعلي.

لا يوجد أسهل من اختراع تبريرلأي عمل نحن مقرين بصحته مسبقا سواء ابتكرنا هذا التبرير أم لا. فالانسان يستطيع أن يرى ما يشاء كما يشاء. و انما المحك هو واقع الناس. ثمار أشجار أفكارهم و أعمالهم. و لقد أخذ الأحزاب فرصة مدتها أكثر من عشرة قرون حتى يتيقنوا من ان تعاليمهم عقيمة مثل عقم امرأة فرعون. الم يحن الوقت لامراة فرعون ان تتبرأ من فرعون و تسأل الله بيتا في الجنة؟ و كما قيل: من الغباء ان يردد الانسان نفس التجربة و يتوقع نتائج مختلفة. فان أرادت امرأة فرعون الجنة فلتأخذ موسى و تؤمن به. أين هو موسى؟ هو عين القرءان. أما القرءان وحده فالى الان لم يجد متنفسا من بعد ان سيطر عليه الاحزاب. التجربة القرءانية لم تتحقق بعد على أرض الواقع بكل قوتها و بكل الامكانيات الموجودة اليوم. المجتمع القرءاني لم يخلق بعد. ان يونس لا يزال في بطن الحوت, و ها هو يخرج الان. فليتوحد العلماء تحت راية القرءان و لا يشركوا به شيئا و لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله, فان تولوا, فانما علينا البلاغ, و اشهدوا بأنا مسلمون.

10 (سؤال: هل يتصور أن المسلمين قد أجمعوا على ضرورة هذه الصلوات الخمس لكل هذه المدة و مع ذلك تكون مخالفة للقرءان؟)

الجواب: أولا ماذا تقصد بالمسلمين؟ الدين يتبع كتاب الله و لا يتبع أفعال الناس. فالذي يدعي أن أمر ما هو من دين الله و يريد أن يتكلم باسم الله فليذكر تفصيل هذا الأمر من كتاب الله. ثم ما أدراك ان "المسلمين" قد أجمعوا كلهم عن اخرهم على ان هذه الصلوات الخمس من الله؟ هل عرفت كل المسلمين؟ هل وقعوا لك على شهادة اجماع؟ و ان قلت "ان اكثر المسلمين يقرون بذلك" أقول "و ان تتبع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله" و "ان ابرهيم كان امة" فالحق لا يعرف بالكثرة, و لكن يعرف بالبرهان من القرءان. " و ما ءامن معه الا قليل" . و ها نحن نخرق

هذا الاجماع على فرض وجوده الوهمي. و الاستدلال بالاجماع هو استدلال العاجز. ثم هل كان بامكان من يريد ان يعارض هذه الصلوات ان يعارضها ؟ الم يحكم اربابكم و سلاطينكم عليهم بالكفر و القتل و بالتالي فرضوا عليهم حكم التقيه. فلو كان كل من يملك ان يخالف ان يظهر مخالفته ، لكان بالامكان ان نعرف حقيقه رأي " المسلمين " . و أما ان ترهبوا المسلمين ثم تزعموا انهم اجمعوا على ما ارهبتموهم عليه، فهذا سخف. و يمكن ان يجتمع الناس على بطلان شئ بسبب شبهه او وهم ، كما تقرون بوقوع ذلك في الاديان المخالفه لكم بل و الطوائف الاسلاميه المخالفه لطائفتكم.

ثانيا, ان الذين تسميهم مسلمين قد اتفقوا كذلك على وضع مصدر ثاني للدين مع كتاب الله, بل و مصادر. بل و جعلوه في الواقع مهيمنا على كتاب الله. فكما انهم أجمعوا على وضع كتب مع كتاب الله و اشراكه معه في أمر الدين فهل من المستبعد بعد ذلك أن يجمعوا على طمس تعليم من تعاليم الكتاب الاخرى؟ لا. بل هذا هو المتوقع فعلا من ائمة يريدون الناس بالأمس و اليوم على أن يكونوا كالغنم يسوقونهم حيث يشاؤون عن طريق تبديل الصلوة (دراسة القرءان و الدعوة اليه) بالصلاة. و ها أنت ترى هذا امامك. من كل مئة يصلون الصلوات الخمس بانتظام اذا وجدت واحدا يدرس كتاب الله فعلا فأنت محظوظ جدا فاستمسك به. بل من كل عشرة الالاف. بل أكثر بكثير. تبديل تعليم الله بتعليم اخر و الادعاء بأن الاخر هو الفرض العيني ,و ان الأصلي الالهي هو مجرد فرض كفائي (احتكار كهنوتي) هو عين التحريف وايضا عين العقل الماكر لمن أراد أن يصرف الناس عن الكتاب و الاستقلال به ليكونوا من أتباعه على عمى.

ثالثا, اننا لم نذكر طلاسم, و لم نحيل الناس على الغيب, بل كشفنا كل شيء, و بينا حجتنا بوضوح, و ذكرنا براهيننا, و نقدنا و حللنا, و كتبنا و نشرنا. فان كان عندهم خير من هذا فليأتوا به. و لا يقارعوا الحجة العلمية بكلام شعري مثل "هل يتصور"! نعم يتصور و هو الواقع. و اذا أردنا أن نستعمل أسلوب "هل يتصور" فان الكثير من مسلمات المتدينين ستسقط. اذ "هل يتصور" أن من اكبر عباقرة العلم كانوا ملحدين و الحادهم باطل و اتباع للهوى؟ و "هل يتصور" أن اليهود (العبرانيين) فعلا حرفوا كلام الههم بالرغم من تعلقهم الشديد بدينهم؟ و "هل يتصور" أن أكثر الناس كما يقول القرءان مشركين و ضالين و كالأنعم بل هم أضل؟ ان كلامنا واضح و حججنا مفصلة. فمن له حجة فعلية فليذكرها, و أما أسلوب "هل يتصور" فندعه لأصحاب الخيال الواسع و العقل الضيق.

رابعا, نحن لا نبالي الا بما ينفع الناس, و هذا هو الحق, و اما الزبد فسيذهب جفاء كما حكم الله في سنته. فلا تحاجونا بقال و قيل, و حدثني و حدثنا, و لا بما يفعل الناس أو كانوا يفعلون. "أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه ءاباءكم" و لن نترك علم الله الحق من أجل أي أحد او مصلحة كمثل الخشية من تشكيك الناس في دينهم. فهذا لا اعتبار له عندنا. ادرسوا موضوع اقامه الصلوه من كتاب الله، و أرجوا الله أن تخرجوا بغير ما خرجنا به، حتى نريكم و نعلمكم بالقدوه الحسنه ان شاء الله كيف يكون التخلي عن المعتقد السابق حين تتبين الحجه، و سنكون ان شاء الله أسرع الناس للعمل بما استخرجتموه. فكفوا عن المهاترات الفارغه ، و " هل يتصور " ، ان الكثير من الامور التي تتصور غير واقعه ، و التي لا تتصور واقعه . و ها هو كتاب الله بين ايديكم و انتم او منكم من هم فطاحله العربيه و ما تسمونه تفسير القرءآن ، فادرسوه و اخرجوا لنا بنظريه في ذلك. فهل عندكم من علم فتخرجوه لنا ام تقولون على الله ما لا تعلمون .

11 (عن التنافر و التوافق بين الجسم و القلب)

التأمل حركة قلبية, عقلية. و هذه هي الدراسة سواء في مستوى السماع أو العقل. و من المعلوم أن الجسم اذا تحرك ضعفت حركة العقل بنفس نسبة حركة الجسم. فالعلاقة بين حركة الجسم و حركة العقل عكسية. كلما ازداد أحدهما ضعف الاخر. كمثل المغناطيس, القطب الموجب يتنافر من الموجب, و لكن الموجب يتصل بالسالب. فأحسن حال للدراسة, سماع أو عقل, هي بسكون الجسم الى أبعد الحدود الممكنة و راحته.

و الان اذا نظرنا الى الصلاة سنرى أنها ضد التأمل النافع المثمر الى حد كبير. و ذلك لأسباب كثيرة ذكرنا بعضها سابقا و أذكر هنا ما يتعلق بالعلاقة بين الجسم و العقل.

الصلاة حركة للجسم, و حركة لسان, و حركة للأذن عن طريق سماع التلاوة و التكبيرات و ما شابه, فالجسم فيها منهمك بالحركة في كل لحظة. لا سكون تام فيها. و لذلك يكون فيها العقل معدوم أو شبه معدوم. فلا غرابة أبدا أن ترى مئات الملايين من الناس يقومون بهذا النوع من الصلاة و مع ذلك تراهم معقدين و متخلفين و سطحيين, على درجات متفاوتة بالطبع. و ما يقال في الخشوع و ما شابه هو مجرد توهم و كلام فارغ من الحق. كيف يخشع و هو منهمك في هذه الاجراءات الشكلية ! فهذه الصلاة الاجرائية البيروقراطية ليست مرفوضة فقط لأن القرءان لم يعلمها , مع ان هذا سبب كافي لمن عنده علم, و لكن حتى لو نظرنا اليها بتجرد سنرى أنها غير نافعة حقيقة على مستوى تستحق في ان تؤخذ بعين الاعتبار. و في احسن الأحوال و مع فرط التفاؤل و التساهل فان الحكم عليها هو أن ضررها أكبر من نفعها. و مجرد النظر الى الذين يقومون بها دليل مستقل على ضررها و عدم نفعها اللهم الا قليلا لا يذكر و لا يخلو من مثله عمل في دين من الأديان. فكل الذين يزعمون أن فيها منافع أو اعجاز و ما شابه هم واهمون. و أبسط دليل على ذلك هو هذا: قولوا للناس هذه الاعجازات و المنافع لكن ارفعوا عنهم التهديد الالهي بجهنم بعد موت الجسم, و انظروا ان كانوا سيقيمون عليها فعلا. اذا كانوا مع كل هذا التهديد و الكثير منهم لا يقومون بها او يقصرون فيها. فما ظنك اذا رفع التهديد؟ و اني شخصيا سألت بعض من الملتزمين المتعصبين لهذه الطريقة هذا السؤال و الى الان لم يجيبني أحد بأنه سيلتزمها بدون انتظار ثواب أو خوف من عقاب بعد موت الجسم. و قلة ستستمر عليها حتى حين لو أمنوا العقاب, و هذا ليس لأنها نافعة عقلا, أو عرفانيا, أو صحيا, و لكن لأنها أصبحت عادة نفسية. فتدخل تحت حكم العادات النفسية و شؤونها. و قد حللنا و حلل اخرون شؤونها في المباحث النفسية. فالذي يعتاد على هذه الصلاة و الذي يعتاد على ضرب رأسه بالجدار متساويان من الناحية النفسية. و لو اعتقد فعلا انه ءامن من العقاب الالهي فانه و لو كان معتادا عليها سيتركها بعد حين.

للنفس طاقة معينة في كل فترة. و هذه الطاقة اذا أنفقتها في الجسم فان مقدار الطاقة المتبقي لانفاقه في حركة العقل سيقل. و هكذا في التركيز الواعي, كلما ازداد التركيز على الجسم و الاقوال الظاهرة, كلما ضعف التركيز على القلب و الأفكار الباطنة. فاذن أحسن حالات التأمل و الدراسة هي بسكينة الجسم التامة حتى تتركز الطاقة في العقل و الوعي الباطني.

12 (مسألة: هذه الصلاة حركات و أقوال عرفانية, فيها رموز الهية, و نحن نقوم بها لأن فيها شهود الله و العشق و لا رغبة لنا في جنة و لا خوف من نار)

الجواب: هذا قول قلة قليلة جدا من أصحاب الصلاة. فتعالوا نرى مقدار العلم الذي في قولهم هذا.

أولا, الرموز موجودة في كل شيء. و أستطيع ان أخرج لك معاني عرفانية و رموز الهية حتى من عمل العاهرات في المراقص. و هذا لا يعني ان عمل العاهرات في المراقص صلاة عرفانية- بالضرورة ! هذا أمر معروف لكل العارفين

الحقيقين و يدخل في درجات قوله "فأينما تولوا فثم وجه الله". فاذا كانت قيمة الطقس الديني هي بسبب المعاني العرفانية التي يمكن استخلاصها منه, فاذن كل الطقوس في العالم قيمة جدا بل أقول أنها كلها متساوية في القيمة. و هذا ما دفع البعض من العارفين ان يرى أن الأديان كلها متساوية. و نحن الذين نسقط المعاني على أي رمز, و نستطيع أن نفتعل المعاني لأي صورة. بل نحن الذين نجعل العمل رمزا في البداية, ثم ننفخ فيه روح المعنى.و من يريد أن يجرب قولنا هذا فليأتنا بأي طقس من أي مكان و زمان يختاره هو, بل ان شاء أن يخترع هو طقسا و ليأتنا به, و سنريكم كيف يمكن أن نجعل هذا الطقس ملئ بالمعاني العرفانية و الرموز الالهية العشقية. و مثال بسيط على هذا و أضرار مثل هذه العقلية الترميزية العرفانية هو شرب الخمر الجسمانية المعروفة بحجة أنها "رمز" على العشق الالهي و بالتالي من الحق شربها. بنفس هذه السخافة تقوم كل الطقوس الدينية (التي تعتمد الترميز فقط) بلا استثناء واحد. و فيه خلط بين المقامات.

ثانيا, القيام بالصلاة لا رغبة في جنة و لا خوف من نار. حسنا, اذن لا تعتقدوا فعلا و لا تعلموا الناس وجود هذه النار و الجنة بالطريقة الجسمانية البدوية, ثم أروني ان كنتم فعلا ستقومون بهذه الصلاة للعشق كما تدعون. أني اعلم هذه الفكرة عن خبرة و عمق الى ابعد الحدود. و الواقع أن هؤلاء وصلوا الى تشكيل فكرة "وحدة الوجود" بحسب معناها الجوهري فيهم. و لذلك أصبحوا لا يبالون بالحدود كلها, و بما أن الجنة و النار مفاهيم محدودة فبالتالي أصبحوا لا يبالون بها. و لكن الواقع انهم في عمق أنفسهم لا يزالون مدفوعين بالخوف من النار. و لو كانوا فعلا يرغبون في "شهود المعشوق المطلق" فقط فهذا الشهود لا يحتاج الى القيام باجراءات معينة, و لا يجوز غيرها. بل العاشق لا يحتاج أن يكون في طقس معين ليرى معشوقه. فهو يراه في كل ان و حال. و يراه في كل شيء على الاطلاق. و مجرد الجلوس بهدوء كفيل باشعال هذه الفكرة, أو سماع الموسيقى و الرقص مثلا. فكفوا عن اختلاق الاعذار الواهية و التبريرات المغلوطة, و اعترفوا بالحق و لو على أنفسكم.

ثالثا, فلنفرض جدلا أنهم فعلا كما يدعون, و لنفرض أن انتقاداتنا السابقة واهية, و أن هذه الصلاة تحوي فعلا رموز الهية و احوال عرفانية و أنهم يقومون بها لا عن خوف و لكن عن حب و عشق. حسنا, و لكن هؤلاء قلة قلية لا تذكر. لعلهم واحد في المليون. فأي تشريع هذا! نعطي شيء لمليون فيقومون به و مع ذلك لا يفلح الا واحد أو أقل! بالرغم من أن المليون يقومون بكل الاجراءات و مع ذلك لم يفلحوا. و هذا كما رأينا لأنها هي بحد ذاتها لا يمكن أن تفلح. و الشواذ هؤلاء منقسمين على أنفسهم, فجزء منهم انقطع للقيام بالاجراءات الشكلية بطريقة الية, و جزءهم الباقي هو الذي يسمع و يتخيل و يعقل. فبدل أن تكون كل طاقتهم أو أكثرها الغالب منصرف الى التأمل و الشهود و الدراسة يصبح جزء منهم فقط يقوم بذلك. و الجزء الاخر يقوم بشكليات بيروقراطية الله أعلم لمن!

لا أحد يحصر نفسه في شكليات للتأمل و يحصر الاخرين الا لأنه جاهل أو خائف أو واقع تحت وهم استحوذ عليه نفسيا. التأمل أمر قلبي, و الجسم محكوم بقاعدة الصحة فقط. و للاسف فان الذين يقومون بالصلاة غالبهم من أسوأ الناس أجساما, فلا يكفي أنهم تركوا كتاب الله, ولا يكفي أنهم تركوا التأمل الحقيقي المركز, و لا يكفي أنهم حولوا الدراسة الى شكليات صخرية صنمية, و لكن بعد كل هذا لم يهتموا حتى في أجسامهم و صحتهم الجسمانية و راحتهم الاجتماعية-على الاغلب! ألا يشبه هذا الذين قيل فيهم "خسر الدنيا و الاخرة" ؟ فكر في الأمر.

فاذن حتى يكون الانسان في أعلى حالات الحضور العقلي و السماع الباطني عليه أن يعمل على تسكين جسمه. تسكين جسمه و جعله في وضعية مريحة و بتنفس جيد تلقائي. و بعد ذلك سيرى أن عقله يزداد قوة الى قوته. و بعد ذلك فليفكر في ما يشاء, او يسمع لما يفيض على وعيه من الباطن و اللاشعور.

و على ذلك نستطيع أن نضع معيارا للحكم على كل الأديان و الطرق: كل من يهتم بالراحة و السكون الجسماني و القوة العقلية أكثر فهو الأقوى و الأهم و الأكبر.

صحة الجسم في أربعة: النوم العميق, التنفس الجيد, الرياضة النافعة, و حسن التغذية.

و صحة القلب في أربعة:الصراحة لحد الوقاحة, الدراسة الدائمة, التأمل العميق, التحدث و الكتابة و القراءة.

لا تخلط بينهما حتى لا تخسرهما سويا. فالليل لا يختلط بالنهار, و الشمس لا تدرك القمر, كل في فلك يسبحون.

13) جناحي المعراج الى الحق)

يقول القرءان "لاولي الالبب: الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموت و الارض ربنا ما خلقت هذا بطلا سبحنك فقنا عذاب النار"

لا يطير الطير الا بجناحين على الاقل, و جناحي قلب العارف هما: الذكر و الفكر.

ذكر الله الواحد المطلق "هو الاول و الاخر و الظهر و الباطن" و هو الشراب. و هو المرموز له بكل الشراب المذكور في الجنة. اذ الشراب مثل الذكر الذي ينساب في القلب بدون معالجة. و هو سهل و يسير و يرطب القلب و يعطيه الحياة و الليونة. و لذلك قال "فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله" و لم يقل "عن ذكر الله" اذ هو هنا يتكلم عن الذين

يذكرون الله و يكون ذكر الله هو سبب قساوة قلوبهم, فان كان الذكر الذي هو سبب ليونة القلب الأكبر هو سبب قساوته فأي شيء يلينه بعد ذلك؟! بذكر الله ألان داود القلوب الحديدية. و السر أن جوهر النفس هو الكبرياء, و لا كبرياء مطلق الا بالعودة الى الكبير المطلق جل شأنه. و الذكر عودة قلبية الى ذاك المقام. حيث كنا فيه قبل أن يخلق السموت و الارض. فقبل الخلق كنا في الله الواحد, لا نقول "معدومين" اذ الله هو الوجود المطلق, فلا عدم فيه أصلا. و لكن كنا في حالة الوحدة التامة في الله, فلم نكن مخلوقين و لا معدومين و لكن متواجدين في باطن علم الله "و هو بكل شيء عليم". و من الشراب الالهي ما رمز له القرءان بقوله "ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا" ما هو "كافورا" و ما علاقته بالشرب الذي هو ذكر الله؟ كافورا تشير الى الكفر "اما شاكرا و اما كفورا" , و الكافورا هو كفر عالم المخلوقات, السموات و الارض, و هذا عن طريق ذكر الله الواحد المطلق, و في هذه الحالة يكون القلب يكفر (يغطي و يغيب) عالم المخلوقات و يكون في الخالق وحده. فذكر الله حجب أو ألغى و غطى المخلوقات و الكائنات. و يرجع الى المقام الأول "هو الأول و الاخر و الظهر و الباطن".

و أما الفكر فهو عقل المخلوقات. و البحث العلمي في المخلوقات يعني الافتراض مسبقا أن المخلوقات مترابطة أو بينها ترابط ما, و بالحركة الفكرية فاننا نسعى الى الكشف عن هذه الروابط أو اقامتها. فالوحدة الالهية مفترضة في كل بحث علمي, بدرجة ما. فلولا افتراض الترابط و الوحدة في الخلق لما سعى عقل الى اكتشاف هذه الروابط و القوانين أو السنن. و هذه الوحدة المفترضة هي التي يؤسسها الذكر. اذ بما أن الله واحد غير محدود و لا متناهي فان العالم فيه و بالتالي مترابط أيضا بنوع ما من الترابط. و العقل هو الذي يكشف أو يقيم هذه الروابط في ذاته عن طريق ملاحظتها في الافاق و الأنفس و بحسب تأثراته المختلفة. و لاحظ أن الفكر متعلق بالمخلوقات فقط "و يتفكرون في خلق السموت و الأرض" اذ الفكر عقل بين منفصلين أو منفصلين ظاهرا. و لكن الذكر وحدة تامة فلا انفصال حتى نفكر في الله أصلا. فالله ليس من اجزاء حتى نعقل فيه, و لا نحن منفصلين عنه حتى نعقله بنا. هو الوجود الأصيل المطلق. باختصار: الواحد الأحد.

الذكر شراب, و الفكر أكل. و هذا مفتاح لكثير من غيب العلم الكامن في القرءان. فحيثما وجدت كلاما عن لشراب فاعلم أنه نوع من الذكر. و حيثما وجدت كلاما عن الأكل كلحم الطير فاعلم انه نوع من الفكر.

"الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم" تشير هذه الاية الى ثلاث مقامات للناس مع الله. فأول المقامات هو علاقة العبد بسيده و مالكه "قياما" فالعبد يقوم في حضرة سيده و لا يكلمه الا بخضوع و قيام خاشع مطرق. ثم المقام الثاني هو علاقة الصديق بصديقه او الخليل بخليله "و قعودا" اذ الاصدقاء يقعد بعضهم بجانب بعض في العادة و يتبسطون في الحديث. ثم المقام الأعلى هو علاقة العاشق بمعشوقته "و على جنوبهم" اذ العاشق يذوب في حضرة معشوقته فلا يقوى على القيام أصلا, و لا يرغب في أن تغيب عن ناظره و لذلك يتمدد بجانبها على جانبه فيكون محترقا بنار الجمال و مندهشا بحضور الكمال و يغيب عن نفسه و يتحد وعيه بمعشوقته فلا يملكوا الا أن يتمددوا "على جنوبهم".

فمقامات الناس مع الله على ثلاث درجات "رب" مع عبيده, "ملك" مع خليله و صديقه, "اله" مع عشاقه و محبينه. و حيث ان الاية تقول "قياما و قعودا و على" فالعطف بالواو و ليس "قياما أو قعودا" و لا "قياما ثم قعودا" فالاشارة الى ان الانسان يمر بهذه المقامات الثلاثة و يجمع بينها بصورة عامة. ففي يوم يكون الحال أنه عبد

و غدا يكون صديق و بعد غد يكون عاشق متأله. أو يكون كل هذا في ليلة واحدة. فلا قاعدة في هذا. انما هي مقامات و حالات قلبية. و لا قانون في القلب. قانون القلب مشاعره. و من مشاعره تتكون شعائره.

و هنا نلاحظ خلل اخر في الصلوات الخمس. ان هذه الصلاة لا تحوي الا حركات العبيد. فالقيام و الركوع و السجود و الجلوس على القدمين, كل هذه الحركات استعملها و يستعملها العبيد في حضرة سادتهم و طغاتهم. فعلى مستوى العالم كله ترى أن العبيد كانوا يركعون و يسجدون اذا حضر سيدهم. و القيام مشهور حتى بين الخادم و مخدومه في المنزل. و الجلوس على القدمين رمز الخضوع و الهيبة و هو معروف على مستوى اكثر من امه. فحركات هذه الصلاة محصورة في مقام واحد, و انها لتفرط في هذا المقام حتى انها لتحجب باقي المقامات. و لذلك يتعجب اغلب الناس عندما يتكلم انسان عن الله كأنه صديقه, أو كأنه معشوقه. فهم اعتادوا و ربطوا بالأغلال في علاقة واحدة و هي العبد بسيده.

و أما الكمال فهو ما يعلمه القرءان "قياما و قعودا و على جنوبهم" فأنت عبد الله و صديق الله و حبيب الله. و ليس وجه يوسف أحق بالعشق من وجه اله يوسف! و ان كان جمال وجه يوسف يجعل النسوة يقطعن أيديهن بلا شعور و لا ألم, بل ذهول تام, فان جمال خالق يوسف أحق بأن يجعل نفس العاشق تفنى حرقا " كل من عليها فان, و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الاكرام". و حتى عندما ذكر هذا المقام فانه قال "وجه ربك" و لم يقل "وجه الرب" فنسبة وجه الجلال الى المخاطب بالقرءان محمد دليل أن هذا المقام الجليل هو الغاية العليا لأمثال محمد.

14 (الفرق بين الصلاة و الصلوة في كتاب الله و العرفان)

يقول الله في بداية سورة المؤمنون "الذين هم في صلاتهم خشعون" و يقول بعدها ببضع ايات "و الذين هم على صلوتهم يحافظون" . و في سورة المعارج أيضا مرتين "الذين هم على صلاتهم دائمون" و "و الذين هم على صلاتهم يحافظون"

من الظاهر لكل قارئ لكتاب الله أنه يوجد مواضع تذكر فيه كلمة "صلاتهم" و تجريدها :صلاة, و مواضع أخرى تذكر فيها كلمة "صلوتهم" و تجريدها :صلوة. و بمقارنة قوله في سورة المؤمنون "الذين هم على صلوتهم يحافظون" و قوله المشابه لهذا في سورة المعارج "و الذين هم على صلاتهم يحافظون" يتبين أنه يوجد فرق بين "صلوتهم" و "صلاتهم". و مفردة "صلاة" لا توجد في كتاب الله بهذه الصورة. و ذكر أيضا "صلوة الفجر" و "صلوة العشاء" لم تذكر الصلوة مقرونة بوقت الا في هذين الوقتين. فما الفرق اذن؟

يتبين لنا الفرق من قوله "الذين يذكرون الله قياما و قعودا و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموت و الارض" فاحداهما متعلقة بالذكر و الأخرى متعلقة بالفكر. و من النظر في حقيقة الذكر و حقيقة الفكر يظهر أن "الصلاة"

هي ذكر الله, و "الصلوة" هي التفكر في خلق السموت و الأرض. و لذلك قدم ذكر "في صلاتهم خشعون" على "على صلوتهم يحافظون". و معلوم ان الخشوع يكون في حالة الذكر, و أما في حالة الفكر فالعقل هو الذي يعمل و لا مجال في الغالب للدخول في حالات الخشوع المعنوي.

الفرق بين الصلاة و الصلوة هو في الحرف الخامس من الكلمة: الألف و الواو. و الألف ترمز الى الواحد الأحد, و لذلك هي متعلقة بذكر الله , و كما عرفنا من قبل أن ذكر الله هو فناء في مقام الوحدة المتعالية. و أما الواو فهو حرف رابط, و الربط هو العقل, و لذلك ناسب العمل الفكري و التأمل في الخلق, فهل الفكر الا القيام بعمليات ربط و عقل لأفكار و ملاحظات و تحليلات.

و من هنا يجب أن نعرف أن استعمالنا لكلمة "الصلوات الخمس" في كتابنا هذا انما هو مراعاة للعرف و مفهوم الناس. و لكن الأدق من الناحية القرءانية أن الصلاة هي كل ذكر لله, و الصلوة هي كل فكر في الخلق. و القرءان فيه ذكر الله و فيه فكر في الخلق. فالتفكر في السموت و الأرض بالمعنى الافاقي و النفسي هو صلوة, سواء تم عن طريق دراسة القرءان العربي أم غيره. و ذكر الله هو صلاة, سواء تم عن طريق القرءان العربي أم غيره. فالعبرة ليست لصورة الصلاة أو الصلوة و انما لروحها و جوهرها. فكم من قارئ لهذا القرءان و هو من أهل "ويل للمصلين" (لاحظ انه سماهم "مصلين") ,و كم من معرض عن هذا القرءان و هو من أهل "من أهل الكتب أمة قائمة يتلون ءايات الله ءاناء الليل و هم يسجدون" . ان القرءان لم يحطم الأصنام ليكون هو نفسه صنم للمؤمنين. الذي لا يسير الى ذات الله فهو ليس من أهل الصلاة و لو فعل ما فعل. و الذي لا يتعلم سنن الخلق و يعمل بمقتضى العلم فهو ليس من المقيمي الصلوة و لو فعل ما فعل. ان هذا القرءان وسيلة الى الله و الحق. الله هو الغاية الوحيدة للمؤمن. فأي فائدة للأعمى أن يطوف حول العرش و هو لا يرى رب العرش؟! و أي فائدة في أبكم يدخل نفسه مع الملائكة و هو لا يستطيع أن يسبح معهم؟! و أي فائدة في أصم يتمنى أن يكون مع الأنبياء و هو لا يستطيع أن يسمع كلام الله؟! كل حجاب دون ذات الله فهو صنم ولو كان كلام الله نفسه-بالنسبة للمحجوب. و كل حجاب دون العلم بالخلق فهو جهل و لو كان القرءان نفسه. فان هذا القرءان "يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا" و هو يزيد الذين ءامنوا هدى و "لا يزيد الظلمين الا خسارا". لا تحرفوا الوسيلة حتى لا تنحرف الغاية.

طهروا قلوبكم بالذكر و الفكر ينكشف لكم العرش و ما ورائه. "و ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم و قيل الحمد لله رب العلمين"

15 (صحف مطهرة)

"قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. اله الناس" هذه هي العلاقات الثلاثة بين الناس و الحق. و لكل اسم من هذه الاسماء الثلاثة مقتضى عملي. فمقتضى اسم الرب هو الحمد و الاستغفار و الطلب (الحمد لله رب, رب اغفر لي, رب هب لي). و مقتضى اسم الملك هو معرفة الأمر و الحكم به و العمل على أساسه (و هذا كله من دراسة كتاب الله حصرا-بالنسبه لنا). و مقتضى الالوهية هو التأله في الوحدة و الحب اللامتناهي و اياته هي ايات الذكر (كاية الكرسي و فاتحة الحديد وسورة الاخلاص و اية النور). و ما يهمني في هذا الباب هو اسم الرب و الاله. اذ اسم الملك و عمله الذي هو دراسة الكتاب قد تحدثنا عنه من قبل.

أما اسم الرب و مقتضياته الثلاثة: الحمد و الاستغفار و الطلب, فقد جمعت كل ايات الحمد التي في القرءان و رتلتها و نسقتها على اساس معين, و يكون الذي يتلو ظاهرا و باطنا هذه الصحيفة (صحيفة الحمد) يكون قد جمع كل ما ذكره القرءان عن الحمد. و كذلك جمعت في (صحيفة الاستغفار) كل ايات الاستغفار الممكنة في هذا المقام حتى تتيسر لمن يريد أن يكون استغفاره كاستغفار القرءان و الأنبياء. و في (صحيفة الدعاء) جمعت أكثر او كل أدعية الانبياء في القرءان و كذلك رتبتها و نظمتها على أساس عرفاني و رؤيتي التي استلهمتها من الله. و لا

بأس في الترتيب, اذ انما هو اجتهاد, و لكن العبرة بالمضمون, و مضمون كل هذه الصحف الثلاثة ماخوذ حصرا من ايات القرءان, بل هو ايات القرءان, لم أزد عليها حرفا أو أنقص حرفا, كما سترى.

أما اسم الاله و مقتضاه الذي هو ذكر الوحدة الالهية, فكذلك جمعت له (صحيفة الذكر) و فيها كل ايات التوحيد المفردة مثل: لا اله الا هو الحي القيوم, و الكاملة مثل فاتحة الحديد و اية الكرسي و الاخلاص و النور.

فحتى يكون كتابنا هذا جامع و شامل لمسألة اقامة صلة بين الانسان و الله كما هي في القرءان و العرفان, فلابد ليكتمل هذا الأمر أن نبعد هذه الصحف المطهرة عن كل ما هو من خارج كلام الله, فتكون صلتنا بالله هي من الله و الى الله و بالله, أي أننا نستعمل ملائكة كلام الله للعروج الى عرش الله.

و سنذكر كل وحدة من هذه الصحف في فصل خاص.

16 (صحيفة الحمد)

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العلمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين. اياك نعبد و اياك نستعين. اهدنا الصرط المستقيم. صرط الذين أنعمت عليهم. غير المغضوب عليهم و لا الضالين.

الحمد لله الذي خلق السموت و الأرض و جعل الظلمت و النور. الحمد لله فاطر السموت و الارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة. الحمد لله الذي له ما في السموت و ما في الأرض و له الحمد في الاخرة. الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل. فلله الحمد رب السموت و رب الأرض رب العلمين.

الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا. الحمد لله الذي هدانا لهذا. الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين. الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. الحمد لله الذي صدقنا وعده و أورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون, و سلام على المرسلين, و الحمد لله رب العلمين.

17 (صحيفة الاستغفار)

بسم الله الرحمن الرحيم. ءامن الرسول بما انزل اليه من ربه و المؤمنون كل ءامن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين احد من رسله, و قالوا سمعنا و اطعنا, غفرانك ربنا و اليك المصير. لا يكلف الله نفسا الا وسعها, لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت, ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا, ربنا و لا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا, ربنا و لا تحملنا ما لا طاقة لنا به, و اعف عنا و اغفر لنا و ارحمنا, انت مولنا فانصرنا على القوم الكفرين.

رب اني اعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم و الا تغفر لي و ترحمني أكن من الخسرين. رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي, رب اغفر لي, رب اغفر و ارحم و أنت خير الرحمين.

ربنا ظلمنا أنفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخسرين.

رب اغفر لي و لاخي و أدخلنا في رحمتك و أنت خير الرحمين.

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمن أن ءامنوا بربكم فئامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفر عنا سيئاتناو توفنا مع الابرار. ربنا اننا ءامنا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النار. ربنا ءامنا فاغفر لنا و ارحمنا و أنت خير الرحمين. أنت ولينا فاغفر لنا و ارحمنا و أنت خير الغفرين. اغفر لنا ربنا. ربنا اغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في أمرنا و ثبت اقدامناو انصرنا على القوم الكفرين. ربنا أتمم لنا نورنا و اغفر لنا انك على كل شئ قدير. فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك و قهم عذاب الجحيم.

و اغفر لأبي انه كان من الضالين. ربنا اغفر لي و لولدي يوم يقوم الحساب.

ربنا اغفر لنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمن و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رؤوف رحيم.

رب اغفر لي و لولدي و لمن دخل بيتي و للمؤمنين و المؤمنات.

18 (صحيفة الدعاء)

بسم الله الرحمن الرحيم. أسلمت لرب العلمين.

لا اله الا الله, ما شاء الله لا قوة الا بالله, اللهم فاطر السموات و الارض علم الغيب و الشهادة, أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اللهم ملك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير, تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل و تخرج الحي من الميت و تخرج الميت من الحي و ترزق من تشاء بغير حساب. فالله خير حافظا و هو أرحم الراحمين. فتبارك الله رب العلمين.

لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين, رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي, رب اني مغلوب فانتصر, رب اني مسني الضر و أنت أرحم الرحمين, رب لا تذرني فردا و أنت خير الوارثين.

عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ,عسى ربي أن يهديني لأقرب من هذا رشدا, اني مهاجر الى ربي سيهدين, بسم الله مجريها و مرساها ان ربي لغفور رحيم, ان معي ربي سيهدين, رب أنزلني منزلا مباركا و أنت خير المنزلين, رب أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق و اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا, رب زدني علما, رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي, و افوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد.

رب اغفر لي و هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب, رب هب لي حكما و ألحقني بالصلحين و اجعلني من ورثة جنة النعيم, رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء, رب أوزعني ان اشكر نعمتك التي أنعمت علي و على ولدي و ان أعمل صالحا ترضيه و أدخلني برحمتك في عبادك الصلحين.

انا لله و انا اليه راجعون, حسبنا الله و نعم الوكيل, ربنا اتنا من لدنك رحمة و هيء لنا من أمرنا رشدا, سبحنك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم, اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا و اخرنا و اية منك و ارزقنا و أنت خير الرازقين, ربنا هب لنا من ازواجنا و ذرياتنا قرة أعين و اجعلنا للمتقين اماما, ربنا افرغ علينا صبرا و ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكفرين, ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم و تب علينا انك انت التواب الرحيم. و الحمد لله رب العلمين.

19 (صحيفة الذكر)

بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد, الله الصمد, لم يلد و لم يولد, و لم يكن له كفوا أحد.

هو الحي لا اله الا هو, الله لا اله الا هو الحي القيوم, لا اله الا هو وسع كل شئ علما, لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه, لا اله الا هو عالم الغيب و الشهادة, لا اله الا هو الرحمن الرحيم, لا اله الا هو الملك القدوس السلم المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر, خالق كل شئ لا اله الا هو, لا اله الا هو رب العرش العظيم, لا اله الا هو رب العرش الكريم, رب المشرق و المغرب لا اله الا هو, لا اله الا هو يحي و يميت, لا اله الا هو له الاسماء الحسنى, لا اله الا هو اليه المصير, لا اله الا هو له الحمد في الأولى و الاخرة له الحكم و اليه ترجعون, لا اله الا هو اليه المصير, لا اله الا هو فانى تؤفكون, لا اله الا هو فأنى تصرفون, لا اله الا أنا فاعبدون, انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني.

الله لا اله الا هو الحي القيوم, لا تأخذه سنة و لا نوم, له ما في السموات و ما في الأرض, من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه, يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم , و لا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء, وسع كرسيه السموات و الأرض, و لا يوده حفظهما, و هو العلي العظيم.

هو الأول و الاخر و الظهر و الباطن و هو بكل شئ عليم.

الله نور السموت و الارض.

20(وقت الصلة بالله)

نرى في كتاب الله ذكر لأوقات معينة مقرونة باقامة صلة بالله, سواء كانت هذه الصلة هي تسبيح بحمده أم استغفار ام صلوة. فنريد في هذا الفصل أن ندرس هذه الايات ثم لنرى ماذا سيحدث.

فلنبدأ بكلمة "وقت". ذكرت هذه الكلمة بتسعة صور في القرءان. و ذكرت مقرونة بأمور عدة, منها: "و اذا الرسل اقتت لأي يوم اجلت ليوم الفصل", وبتوقيت اليوم المعلوم , و بميقات موسى يوم كلمه ربه "فتم ميقات ربه أربعين ليلة", و ذكرت مقرونة بالصلوة "ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا", و عن الاستدلال على المواقيت قرنت

بالأهلة "يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس و الحج", و أخيرا مقرونة بمقيات يوم الفصل العام, و يوم الفصل بين موسى و السحرة.

فنلاحظ أن الوقت هو فترة زمنية معينة يتم فيها حدث معين. فعندما نعرف ما هي هذه الاحداث التي نبحث عن أوقات القيام بها, كالدراسة أو التسبيح او الاستغفار و غير ذلك, عندها نستطيع أن نحدد بحثنا بدقة. فالذي لا يعرف عن ماذا يبحث غالبا لن يصل اليه. قد عرفنا سابقا ما هي الاعمال التي نبحث عن وقت لها, و الان نريد ان نرى ماذا يقول القرءان في هذه الاوقات. أي اننا عرفنا العمل او الحدث, فيتبقى أن نعرف الزمن. و الزمن اما ان يكون زمن افاقي أو زمن نفسي. زمن افاقي كغروب هذه الشمس الجسمانية, و زمن نفسي مثل ليل الجهل بالامر, و قد يكون أيضا الزمن روحاني كأن يكون مقام معين مثل ما وقع لموسى في الأربعين ليلة. و لكل زمن مذكور في القرءان درجات. هذه هي الخطوط العامة التي نسير على هديها. فلنبدأ بالبحث عن الزمن المقرون بالصلوة.

أما الصلوة. فالصلوة غير ذكر الله, يقول "فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما و قعودا و على جنوبكم". فالصلوة عمل له بداية و له نهاية, و له نداء "و اذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا" و لها مقيم و هو النبي حصرا "و اذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة" و لذلك قال للمؤمنين "صلوا على النبي" و تعني ادرسوا القرءان عليه كما نقول "درست على الشيخ فلان" و "درست كتاب كذا على العالم الفلاني", و تقام في جماعة المؤمنين "فلتقم طائفة لم يصلوا فليصلوا معك" و هي الدراسة الجماعية للقرءان, و لذلك يقول " اذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة" بعد أن ذكر الخوف من فتنة الكفار بسبب صلوتنا, و اما على مجرد ذكر اسم الله فلم يقل: فاذا اطمأننتم فاذكروا الله, بل أرشد الى ذكر الله حتى في الخوف, و أحسب ان الحكمة ظاهرة, فمجرد ذكر اسم الله لا يحتاج الى طمأنينة و سكينة و عدم خوف, بل ذكر الله يجلب هذه الأمور, و لكن الدراسة و الدعوة تحتاج الى طمأنينة و سكينة و عدم خوف, و لذلك قال "فاذا اطمانتتم فأقيموا الصلوة". و لذلك أيضا قال "لا تقربوا الصلوة و أنتم سكرى حتى تعلموا ما تقولون" فالدراسة تحتاج الى حضور عقل "لعلكم تعقلون" فهي موجه الى نفس الانسان, و اما ذكر الله فلا فرق في وجود السكر أو عدمه, بل ذكر الله سكر بذاته "خمر لذة للشاربين". و دليل اخر على أن للصلوة نهاية يقول "تحبسونهما من بعد الصلوة", و أما عن موضع الصلوة فيقول " و اجعلوا بيوتكم قبلة و أقيموا الصلوة" فكل بيت مؤمن يجب ان يكون قبلة لدراسة كتاب الله و الدعوة اليه, بيوت المؤمنين هي سفارات عرش الله. فكل هذا يدل على أن للصلوة بداية و نهاية و مواضع و مقيم.

لماذا للصلوة بداية و نهاية و موضع و مقيم و ليس لذكر الله مثل ذلك؟ فذكر الله يتم على أية حال, و موضعه هو نفس المؤمن و قلبه "و اذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة دون الجهر من القول", و كذلك ليس له مقيم لأنه عمل فردي بين السر الانساني و السر الالهي. و ليس له بداية و نهاية لأنه مثل موضوعه, الله الوجود المطلق, ليس له بداية و لا نهاية. و أما الصلوة فمتعلقة بدراسة القرءان و التفكر في خلق السموات و الأرض, و هذا له بداية و نهاية و حدود, و لذلك كان للصلوة بداية و نهاية و حدود. و للصلوة مقيم قد يكون مقيم ظاهري كالنبي البشري, و

قد يكون مقيمها باطني كالنبي الروحاني الذي هو عقل المؤمن. و أصل ذلك هو النبي الباطني, اذ النبي البشري نفسه انما اعتبر نبيا بسبب عقله النبوي و ليس جسمه و ظاهره. فالأصل أن الله و ملائكته يصلون على النبي أي اخراجه من الظلمات الى النور, و كل انسان يجب ان يسعى الى هذا المقام, ثم اذا رغب نبي في أن يتعلم من نبي كمثل ما وقع بين موسى و العبد الصالح في سورة الكهف فهو جائز و مرغب فيه "و أمرهم شورى بينهم", و اذا كان الانسان لا يعرف بعد أي شئ عن الكتاب فانه يسأل الذين يقرأون الكتاب من قبله أي الأنبياء الظاهرين. و النبي هو مقام يدل على منهج في النظر, و عكس النبي هو المجرم المحرف لكتاب الله الجاهل الحمار الممسوخ. فمثلا في منهاج النبوة يكون القرءان كتاب أمثال, و أما عند المجرم فقصص القرءان تاريخ أي اساطير الأولين. و ما شابه في اختلاف المناهج في النظر الى القرءان و التي ذكرنا الكثير منها خلال دراساتنا و كتاباتنا. فاذن ليس لذكر الله أي حد, و لكن للصلوة حدود بطبيعتها.

قرن الله الصلوة بذكر أزمان لها صبغة افاقية. يقول "اقم الصلوة طرفي النهار و زلفا من الليل", و يقول "أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل و قرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا. و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن ربك يبعثك ربك مقاما محمودا" ثم قام بتفصيل هذا التهجد بالليل في سورة المزمل فكتب "قم الليل الا قليلا, نصفه أو انقص منه قليلا, او زد عليه و رتل القرءان ترتيلا" و فصل هذه الايات في اخر اية من المزمل "ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه, و طائفة من الذين معك, و الله يقدر الليل و النهار, علم أن لن تحصوه فتاب عليكم, فاقرءوا ما تيسر من القرءان, علم أن سيكون منكم مرضى و ءاخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله و ءاخرون يقتلون في سبيل الله, فاقرءوا ما تيسر منه, و أقيموا الصلوة و ءاتوا الزكوة". و يذكر مرة "من قبل صلوة الفجر... و من بعد صلوة العشاء", و يقول "الذين هم على صلاتهم دائمون" و "الذين هم على صلاتهم يحافظون".

نلاحظ انه ذكر صلاتين فقط مرتبطة بزمن, الفجر و العشاء. و لكن باقي الأزمان التي قرنت بالصلوة تتسع وراء هذين الاثنين. فمثلا قوله "و من الليل فتهجد به نافلة لك" ثم تفصيله لذلك في المزمل يدل على أن الصلوة ممكنة في غير الفجر و العشاء. نحن ننظر الان بالعين الافاقية, اي ان العشاء هو زمن في الليل الافاقي المعروف, و الفجر هو حين يبدأ انفجار ضوء الشمس في السماء الافاقية. و قوله "لدلوك الشمس الى غسق الليل" يدل على مدة طويلة اذا اعتبرنا الدلوك يعني زوال الشمس, فيبدأ من بعد الظهر بشئ حتى غسق الليل على اعتبار انه يعني اول الليل. فتكون مدة هذه الصلوة طويلة قد تصل الى ساعات في بلادنا , نحو خمس او ست ساعات, و هذا بالطبع يختلف من منطقة و فصل الى منطقة و فصل اخر, فتقدير الليل و النهار يختلف في بلاد العرب عنه في بلاد الغرب مثلا, و أيضا يختلف في بلاد العرب النهار في الصيف عنه في الشتاء. و في بلدان لا يمكن اعمال مثل هذه الايات ظاهريا حيث ان النهار عندهم طويل جدا كمناطق خط الاستواء, او الليل طويل جدا كما في القطب الشمالي حيث تغيب الشمس لمدة طويلة جدا. فنحن امام امرين: اما أن نعتبر أن القرءان للعرب فقط و سكان البلاد العربية, و بذلك يكون القرءان قد جاء بأوقات تناسب هذه المنطقة, و نتخذ قوله "و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم" قرينة على ان القرءان للعرب فقط. و اما ان ننطلق من قوله "للناس كافة" و كون معاني القرءان هي

العبرة و ليست صورته, فيكون القرءان للناس في كل أنحاء الأرض, و بالتالي تكون هذه الايات التي تذكر أوقات معينة هي ليست أزمان افاقية الا على سبيل ضرب الأمثال, و يكون المقصود هو الزمن النفسي, و بذلك تكون الايات نافعة و متوافقة مع الحياة في كل مكان, و يكون الدين يسر "ما أنزلنا عليك القرءان لتشقى". أو أن أهل تلك البلاد مطالبين بالهجرة الى بلاد تكون أوقاتها مناسبة لأوقات القرءان بحيث لا يكون في العمل بالقرءان مشقة, و لكن ظاهر أن مطالبة الناس بالهجرة هو أمر عسير جدا و أحسب أن الله عنده من العلم و الهدى ما يكفي لهداية كل أهل الأرض أينما كانوا! فاذن يظهر أن الأسلم هو أن نعتبر أوقات القرءان اوقات نفسية. و لمن شاء أن يستهدي بها كأوقات افاقية فله ذلك ان وجد من نفسه القوة و رضي بذلك عن اختيار طوعي و حب للعلم.

و الله نفسه قد راعى اختلاف الأزمان الافاقية و صعوبة احصاءها كما في المزمل, فحكم بالحكم النهائي و قال "فاقرءوا ما تيسر من القرءان". فهذا هو الاصل. و باقي الأزمان و التفصيلات هي فروع لهذا الحكم العظيم. و بما ان للصلوة بداية و نهاية و مقيم و موضع و اجتماع, فيجب ان نيسر ذلك عن طريق تبيين حدود من أزمان افاقية أيضا. و العبرة بما يتيسر لكل انسان أينما كان. و ما في القرءان انما هو للعرب في بلاد العرب, اذ نزل لنا بما يناسب أوقاتنا. و العبرة من هنا يمكن ان تترجم الى أي مكان اخر على الأرض.

أولا, الاصل في مسألة أوقات الصلة بالله هي " و الذين هم على صلاتهم دائمون", و اذا كان العمل قائم على ما ينفع الناس فان هذا العمل يكون لله. أيا كان هذا العمل سواء للمعيشة الجسمانية أم للمعرفة العقلية أم للتألهات الجوهرية.

ثانيا, أوقات الصلة بالله عن طريق الذكر او الدراسة و الدعوة أيضا الأصل فيها هو الدوام قدر الامكان, و يحكم هذا الدوام قوله "و اذا فرغت فانصب و الى ربك فارغب", اذا فرغت من ماذا؟ اذا فرغت من العمل للمعيشة الجسمانية و شؤون الزوج و الناس. أي اذا فرغت من الظاهر المحكوم بالحاجة الطبيعية المتوازنة و ليس الحيوة الدنيا. و لذلك قبل أن يدخل ادم الجنة وعده الله بتوفير المعيشة و كانت له زوج. فالقاعدة هي ان ينظم الانسان عمله الجسماني و الاجتماعي بتوازن طيب, و باقي وقته كله للدراسة و الدعوة أي لله. و حتى عمله للمعيشة اذا لم يكن دنيويا و كان بنية التفرغ لله فهو أيضا عمل لله مهما طالت مدته. فصلة الانسان تكون بذلك دائمة. فالأساس هو الحياة الباطنية, و الفرع و الاستثناء هو الحيوة الظاهرية. و ليس العكس فتأمل هذا جيدا!

ثالثا, ان الله لا يريد أن يجعل علينا في الدين من حرج و لا عسر و مشقة. فكل الأمور يسر و رحمة. و لذلك لم يحدد الله زمن افاقي معين للاتصال به. ففضلا عن ان الحقيقة العرفانية تأبى ذلك. و مع ذلك فان القرءان لم يعسر و يحدد زمن افاقي معين لذلك. فتصور مثلا أن الصلوة واجبة في الليل كفرض, فماذا سيفعل الذين يعملون في نفع الناس في قسم الطوارئ في المستشفيات او الشرطة ليلا؟ فهذا هو دوامهم الرسمي, و يجب ان يوجد مثل هؤلاء في المجتمع. و قس على هذا باقي الأعمال التي تتقاطع مع التوقيت المعين للصلوة و الذكر أو على أقل تقدير تعسر

و تجلب المشقة على الناس. و من هنا فان اختيار أوقات التفرغ للدراسة و الدعوة و التأمل هو أمر راجع لكل فرد و ظروفه, و كل جماعة و ظروفهم و اتفاقهم.

رابعا, من تحليل ايات المزمل نرى أن الله عين تقريبا أقل مدة يفترض للمؤمن ان يكرسها لدراسة القرءان و الدعوة اليه, فقوله "ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه" و في أول السورة قال "قم الليل الا قليلا, نصفه أو انقص منه قليلا, او زد عليه" فنلاحظ اربعة مدد: أقل من النصف, و الثلث, و النصف, و ثلثي. فما هو الاقل من النصف؟ نلاحظ أن ذكر الأرباع و الانصاف و الاثلاث ذكر فقط في ثلاث مواضع في الكتاب: هنا في تقسيم الليل لقراءة القرءان, و مرة لتقسيم الميراث, و مرة لتقسيم الغنائم. فاذا جمعنا كل الكسور التي ذكرت في هذه المواضع سنرى انها سبعة: ثمن, سدس, خمس, ربع, ثلث, نصف, ثلثي. و حيث ان الكتاب كله متلاحم و يفسر بعضه بعضا و يكمل بعضه بعضا. فمن هنا نستوحي ان أقل مدة للصلوة يجب أن تكون ثمن الليل, و أكثرها ثلثي الليل. و لذلك قال اول الأمر "قم الليل الا قليلا" فالقليل هنا هو النصف, و الانقص منه هو كل مادون ذلك من الأقسام و هم الثمن و السدس و الخمس و الثلث, و الزيادة على النصف هي بان يصل الى ثلثي الليل و هو الحد الأقصا لمن شاء أن يستهدي بهذا التفسير و وجد فيه طمأنينة لقلبه. فاذا اعتبرنا أن الثمن هو الحد الأدنى الذي على المؤمن ان يكرسه للقرءان-عن اختيار و رغبة فذه الأمور اجتهادية و قد تقدم أن الله قد ترك الأمر مفتوحا لمن شاء أن يكون مفتوحا و قد حدد حدا أعلى و أدنى لمن شاء أن يعرف رأي الله في المسألة.فعلى اعتبار ان الليل اثنتا عشرة ساعة, فثمنها يكون ساعة و نصف. أي ان أقل مدة يكرسها المؤمن للقرءان هي ساعة و نصف يوميا. سواء كانت للدراسة الفردية او الجماعية و سواء كانت تدريسا و دعوة أو كتاب و نشر أيا كان العمل المتعلق بالقرءان فهما و عملا. و بذلك يمكن العمل بهذا على مستوى العالم أيا كان الموضع و مهما كان الفصل. فالمدة هي ساعة و نصف. و الساعة في القطب الشمالي هي مثل الساعة في صحراء الأعراب. فهذا هو التقدير في هذه المسألة, و الحمد لله. فأقل مدة لصلوة المؤمن و لو كانت متقطعة على مدى اليوم هي ساعة و نصف (ثمن), و أقصا مدة هي ثماني ساعات يوميا (ثلثي).

و هنا يتكشف لنا وجه سر جديد. ألم تنتبه الى ان أقسام الوقت سبعة؟! فاذا عرفنا أن أقلها هو الثمن, و تتدرج الى أن تصل في السابعة الى الثلثين. و تذكرنا السموات السبعة و العرش فوقهم. فهذا يدل على سر عظيم و هو هذا: الذي يدرس القرءان لمدة ساعة و نصف يوميا فهو من أهل السماء الاولى, و الذي يدرسه لمدة ساعتين يوميا فهو من أهل السماء الثانية, و الذي يدرسه لمدة ساعتين و نصف تقريبا فهو من اهل السماء الثالثة, و لمدة ثلاث ساعات فهو من الرابعة,و لمدة اربع ساعات فهو من الخامسة, و لمدة ست ساعات فهو من السادسة, و لمدة ثماني ساعات فهو من سكان السماء السابعة, و ما فوق ذلك فهو خليل رب العرش لا حجاب و لا ترجمان بينها "في مقعد صدق عند مليك مقتدر". و هذا كله على أساس أن القلب يدرس على منهاج النبوة. و أما على منهاج المجرمين فلعل الذي يدرسه ثمن الليل سيهوي الى الأرض الأولى, لمدة ساعتين يهوي لدركة أسفل, و هكذا حتى يصل الى اسفل سافلين " و ننزل من القرءان ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين و لا يزيد الظالمين الا خسارا". فأحكم المنهج و طهر القلب من الدنيا ثم تكون دراستك معتبرة, و سترى أنت بنفسك أن القرءان لن يتفتح لك الا بمنهج قرءاني يفهم أن القرءان مفصل تفصيلا و أنه أمثال و ان اياته لا تتعارض بل تتكامل, و ان اياته عميقة رمزية

باطنية في أصلها, و ان التشاور مع الدارسين عمل حسن يوسع الافاق, و قد ذكرنا هذا المنهج في ثنايا كتاباتنا و أفردناه بذكر مجمل في كتاب "باب السفراء" فليراجعه من يشاء, أو ان شئت أن تستنبط المنهاج من القرءان مباشرة, أما ان سألت: فكيف أعرف أني سأصل الى المنهج النبوي؟ أقول: يقول الله "و من يؤمن بالله يهد قلبه" و "من يتوكل على الله فهو حسبه" و "و ان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتب من قبلك". و في هذا كفاية لراغب في الله و علمه فعلا.

و في هذا التدرج السباعي أيضا فائدة في التدرج مع طالب العلم. فيكون الدرس من ساعة و نصف و يتدرج معه كلما شعر أنه يرغب في المزيد و ان وعاء قلبه قد اتسع. فحتى لا يمل الانسان و لا يتخذ الأمر كعادة روتينية, فعليه أن يتخير ما يشاء من اوقات, و لكن اذا فرض على نفسه قيد ذاتي, و هو ليس قيد الا من ناحية الألفاظ اذ القيد الحقيقي هو ما ليس باستطاعتك الفكاك منه الا بأذى أو اعتداء أو ما ليس في استطاعتك التحلل منه اصلا, و تخصيصك وقت لنفسك للدراسة العميقة هو قيد منك عليك و ليس له رقيب الا أنت, فبالتالي هو ليس قيد, انما هو نوع كما قال الله "و الذين هم على صلاتهم يحافظون" تأمل كلمة في "صلاتهم" هم أنفسهم! و يحافظون لأنها صلاتهم و هم يريدونها و هم حددوها بأنفسهم.

اني أجزم أنه لن يخصص انسان ساعة و نصف يوميا لدراسة القرءان الا و سيتكشف له وجه الله! و اني على يقين أن من يخصص ثماني ساعات يوميا لدراسة القرءان بعمق فانه من أهل الملأ الأعلى و سيسمع ما يدور في مجالس الملأ الأعلى و تدارسهم لكتاب الله. و أما ما فوق ذلك فهو مع الله مباشرة, مع رب الكتاب و صاحبه و مؤلفه. و هل يوجد أعلى من ذلك؟ اذا عرفت فمن فضلك أخبرني. و الذي لا يخصص ساعة و نصف على الأقل يوميا لدراسة كتاب الله فسأكون متعجبا ان رأيت كتاب الله يتفتح له. و اني الى الان لم أجد احد يخالف ظني هذا. و اما أهل الثماني ساعات فهم من حملة العرش. و هذه ليست احكام نهائية, و انما هي اجتهادية شعورية.

و من زاوية أخرى, قد تتخذ هذه الدرجات السبع و تجعلها على الأيام. فمثلا, في يوم الاحد تخصص ساعى و نصف, و في يوم الاثنين ساعتين و هكذا الى يوم السبت حيث تتفرغ من أعمالك المعيشية كليا (على فرض ذلك) تخصص ثماني ساعات.

و لنضرب مثلا على العلاقة بين زيادة وقت الدراسة و الارتفاع في السموات: تصور انك ذهبت لتغوص في البحر, و كان عمق البحر نحو سبعين مترا, و كنت تحتاج عشر دقائق لتنزل عشرة امتار, فاذن اذا كانت المدة التي خصصتها للغوص هي عشر دقائق فهذا يعني أنك لن تصل الا الى العمق الأول و هو عشر متر, و لكن اذا خصصت ثلاثين دقيقة للغوص فانك ستصل الى العمق الثالث و هو ثلاثين مترا, و هكذا اذا خصصت سبعين دقيقة ستتعمق الى عمق البحر النهائي و هو سبعين مترا. و هكذا الأمر تقريبا في دراسة القرءان. ففي ساعة و نصف قد تصل الى السماء الاولى و هكذا صعودا. و ظاهر أن السموات هي درجات المعاني و العلم و الاسرار الالهية.

و أحسب أن من أعلى الدرجات أن يكون يوم الانسن مقسم الى ثلاثة أقسام: ثماني ساعات للنوم, و ثماني ساعات للعمل للمعيشة و العلاقات الاجتماعية الظاهرية, و ثماني ساعات لدراسة القرءان و الدعوة به. و ليس

من الضروري أن تكون الساعات متصلة, و لكن هذه هي القسمة على العموم. و لم أرى الى الان خير من ذلك, و بهذا يعطى كل شئ حقه و زيادة مباركة من عند الله. عسى ربنا أن يهدينا سواء السبيل و ينزلنا منزلا مباركا فهو خير المنزلين.

يقول " و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا" النافلة هي الزيادة و الهبة الاعلى من الفرض. و معلوم أن رسل الملائكة و الناس على مقامات " و ما منا الا له مقام معلوم", و معلوم ان أعلى مقام هو مقام خاتم النبيين محمد, و هو مقام الجامع لكل ما في السموات و المتجاوز لها الى العرش. و وسيلة هذا الترقي هي "فتهجد به" أي بقراءة القرءان. و القرءان كما هو معلوم فرض على النبي "ان الذي فرض عليك القرءان". و كما عرفنا قبل قليل من ان الله كما نرى قد فرض الحد الادنى لقراءة القرءان للمؤمن بثمن الليل, و الحد الأعلى بثلثي الليل, و كما عرفنا ارتباط هذه الدرجات بالسموات, يتبين من كل ذلك سر ربط الله بين النافلة و التي هي الزيادة على الفرض, و بين المقام المحمود الذي هو مقام العرش الجامع لكل السموات و المتفوق عليها. فالنافلة هي ما فوق ثمان ساعات في الليلة, او اليوم. فمحمد هو كل من يدرس القرءان فوق ثماني ساعات في اليوم. أي سيبعثه الله في هذا المقام المحمود, و قول الله "عسى أن يبعثك" و ليس "سيبعثك" فيه حكمة, اذ ان "عسى" تقتضي الاحتمالية و ليس القطع, و كونه جعل احتمالية هنا يدل على ما ذكرناه سابقا من أن العبرة ليست بطول الزمن الظاهري الذي يقضيه الانسن في قراءة القرءان, العبرة الأهم هي للنية الباطنية و المنهج, فلعله يدرس القرءان عشر ساعات في اليوم و لكن بنية تدميره لو استطاع, أو للطعن عليه, أو انه يدرس و لكن بمنهج اجرامي و ليس نبوي و ما سوى ذلك من احتمالات قد تفسد كل شئ و تجعل العمل "هباءا منثورا". لن يفتح الله أبواب سماء القرءان لغير المخلص "سأصرف عن ءايتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق". و "لا يمسه الا المطهرون".

ما الحكمة من استعمال كلمة "تهجد" في هذا المقام؟ كلمة (هجد) في اللسان تعني القيام و السهر و تعني أيضا النوم. فهي من كلمات الأضداد. التهجد هو السهر و الاستيقاظ و هو أيضا النوم. و الان, لولا أن الله أراد كلا المعنين لما استعمل هذه الكلمة, فلو اراد معنى السهر فقط لذكره. فما العلاقة بين السهر و النوم و القرءان؟ يقول الله في أصحب الكهف "و تحسبهم ايقاظا و هم رقود", فيوجد علاقة ظاهر و باطن هنا. فالسهر متعلق بالقلب, و النوم هو مجرد هيئة ظاهرية او ما قد يتبدى للعيان. و الدراسة العميقة للقرءان تجعل القلب في أعلى درجات اليقظة, و لكن قد يبدو النبي و هو يتأمل في صمت عميق داخل عوالم الغيب الباطنية, و كأنه نائم. و لنذكر أن النائم رمز على الواصل الى الله "الله يتوفى الانفس حين موتها و التي لم تمت في منامها" فالنوم هو وصول الى الله من حيث الدرجة و الفناء الذاتي. و في المقام المحمود كما عرفنا فان القلب يكون مع الله مباشرة في اخذ الوحي "فأوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى" و "ما زاغ البصر و ما طغى لقد رأى من ءايت ربه الكبرى". و من هنا يقول المتأملين أن النوم هو أحسن تأمل. فيوجد قراءة للقرءان الظاهري العربي, و يوجد قراءة للقرءان النفسي المعنوي, و يتحد هذين الاثنين في حالات من اهمها حالة الانسن المحمدي , فتصور أن تعتاد على تخصيص ثماني ساعات يوميا لدراسة القرءان , ألا ترى أن القرءان سيتخلل كل ذرة في كيانك؟ و من هنا يصبح تأملك دائما قرءان, حتى لو لم تكن تنظر في القرءان العربي. نفسك تصبح من نفس الله, و روحك من روح الله, فتصبح كلك

من الله و الى الله و بالله و لله. و بعد ذلك لن يصدر منك الا الله. "و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا" تصبح شمس الله و قمره في العوالم. و هذا ليس بتكلف و تصنع, و لكن فيض من قلب المتهجد بالنافلة, أي ما فوق ثماني ساعات يوميا على العموم و بنية رغبة في الله و منهج نبوي يعطيه الله لمن يطلبه و يرغب فيه فعلا. و هل الملك العظيم الا بهذا ؟!

فاذن يظهر من بحثنا هذا أن الله ترك الحرية لمن يرغب في الدخول في زمرة عباده المخلصين و اخلائه المحبوبين بأن يتخيروا أي وقت افاقي يحبونه ليقرأوا القرءان و يدرسوه و يتدارسوه في جماعة و للتأمل. و قد فرض أيضا حدا أدنى لمن يرغب في التفصيل منه و هو نحو ساعة و نصف يوميا و تدرج الى ان وصل الى ثماني ساعات يوميا, و جعل ما فوق ذلك نافلة لمن يشاء أن يبعثه ربه مقاما محمودا. و بهذا المنهاج يكون رب الكتاب هو الذي وصف لنا خير سبيل للترقي في الكتاب. فالحمد لله رب العلمين.

21 (دفاع عن الصلوات الخمس)

بعد ان عرفنا كل ما فات نستطيع ان ننظر في هذه الصلوات الخمس المعروفة و نضعها في موضعها المناسب في منظومة هذا الدين. في هذا الفصل سأكرس كل طاقتي للدفاع عن وجود هذه الصلوات الخمس و تبرير القيام بها و ساجتهد في اخراج نسبتها الى مقام النبوة, و حيث نرى اختلافا مع الأصول القرءانية التي سبق أن ذكرناها فعندها سنعدل في فكرة الصلوات الخمس حتى تناسب القرءان و تكون خاضعة لسلطانه, اذ القرءان "مهيمنا على الدين كله".

هذه الأمة لم تدع مسألة الا و تفرقت فيها, سواء في جذرها أو أصلها او فروعها او ثمارها. بداية من اكبر المسائل و هي تعريف الله, و نزولا الى اخر مسائل الدين. و مما يلفت النظر ان حركات الصلوات الخمس هي مما لم يختلف

فيه, يوجد أدلة تقول ان الصلوات ليست خمسة او يمكن القبول بأقل منها , كمثل الرواية التي جاء فيها رجل الى النبي عليه السلام و قال له أنه لن يصلي الا صلاتين فقبل منه النبي ذلك , بغض النظر عن قوة الروايات فالعبرة بوجود الرأي هنا. و حتى الأذكار اختلف فيها, فمن مجيز للقراءة بغير العربية, و من قائل بأن اذكار الركوع و السجود هي كذا و عددها و كذا و غيره له رأي اخر و يوجد اذكار متعددة و منهم اجاز عدم الذكر اصلا اذ الحركة الجسمانية معبرة بذاتها (و لنا عودة لهذا الرأي المهم), و كذلك قراءة سورة الحمد في القيام اختلف فيها فمن موجب و من مجيز و منهم من جعلها مستحبة و منهم من جعل قراءة الامام تكفي المأمومين. و كذلك في صلاة الفرد و الجماعة ففي الامر سعة. و في اوقات الصلاة اختلاف أيضا كالقول بجواز الجمع و القصر في الحضر و السفر. و في عدد ركعات الصلاة أقل ما قيل هو ركعة واحدة و هي ما يسمى صلاة الوتر و اما في الفرائض فأقل الموجود هو ركعتين. و هكذا اختلف في كل شئ اللهم الا وجود هذه الحركات. و هذا الاختلاف مبرر و مفهوم في ضوء ما فهمناه من اصول القرءان في هذه المسألة, اذ في الأمر سعة.

لا يوجد فرقة تستطيع أن تدعي احتكار هذه الصلوات بكتبها و مروياتها و ائمتها. اذ الذين يسمون انفسهم اهل السنة و الجماعة لا يؤمنون بكتب الشيعة, و الشيعة لا يؤمنون بكتب السنة, و الخوارج الاباضية مثلا لا يؤمنون بكتب كلا الفريقين, و مع ذلك كلهم يصلي هذه الصلوات الخمسة, و يفتتح بالتكبير و يختم بالتسليم, و يصلي بنفس الحركات الأصلية الأربعة من قيام و ركوع و سجود و قعود. و اول كتب المرويات هذه كتب في بداية القرن الثاني الهجري, فقبل ذلك من أين كان الناس يتعلمون هذه الصلوات الخمس؟ لا أحد يستطيع أن يزعم احتكار الأمر في مذهبه اذ لم تخلق المذاهب بعد. فاذن ان اخذ انسان بهذه الطريقة في الذكر او التأمل فلا يمكن الاحتجاج عليه بانه ياخذ ببعض ما في المذاهب و يترك بعض. هذه الحركات تنضم الى باقي الحركات التي اوجدها الناس في هذا الامر, و يستطيع أي انسان أن يستعملها و ان لم يؤمن باي ابعاد غيبية لها او طائفية.

فكلا هذين الامرين يكونا قرينة لا بأس بها على ان هذه الصلاة اصلها ماخوذ من النبي الاول عليه السلام. و بما ان النبي لا يمكن ان يكون قد ابتدع شيئا الا بما يفهمه من كتاب الله, فهذا يعني انه ان بحثنا في كتاب الله سنجد قرائن على ان النبي استنبط هذه الحركات منه. و الواقع انه قد وقر في صدري عندما كنت اريد ان استمد من قلب النبي الايات التي تدل على استنباطه هذا فوجدت الجواب في اية النور.

في آية النور, ذكر كلمة نور خمس مرات, ثلاث مرات(نور) و مرتين(نوره) . و عدد أحرف كل الخمس كلمات هو 17 حرفا. و كلمة(نور) عدد أحرفها 9, و (نوره) 8 أحرف.كذلك هي خمس صلوات, مجموع عدد ركعاتها 17, و هي ثلاث صلوات بالليل, و صلاتين بالنهار. عدد ركعات الليل 9, و عدد ركعات النهار 8. و هذا التطابق الدقيق في هذه الأمور الثلاثة لا يمكن أن يكون صدفة.

و اذا نظرنا الى الركعتين, و هي أقل صلاة فرض من حيث العدد فسنرى أنها مكونة من 14 حركة, و 4 مواقف. الحركات(القيام, الركوع, القيام, السجود, لجلوس, السجود, الجلسة الخفيفة. ثم نفس الأمر للركعة الثانية) و

الحركات(القيام, الركوع, السجود, الجلوس) .و قد علمنا أن العوالم 4 "بسم الله الرحمن الرحيم" بعدد المواقف الأربعة التي هي مقامات. و عدد أحرف النور, فواتح السور, 14 حرفا, فيظهر ان عدد حركات الركعتين و هي اصل الصلاة, مأخوذ من عدد الاحرف النوارنية التي هي ام الكتب و فواتح السور. و لعل في الحديث النبوي القائل "الصلاة نور" اشارة الى هذه المعاني. و لعل جعل الالفروض تتراوح بين ركعتين و ثلاث و اربع هو اشارة الى اجنحة الملائكة المثنى و الثلاث و الرباع, و لعل في الحديث القائل "الصلاة معراج المؤمن" اشارة الى ذلك المعنى ايضا.

الجسم اذا كثر سكونه مرض, و اذا كثرت حركته مرض. فلكي تكون الطريقة كاملة يجب أن تحوي السكون و الحركة في آن واحد. و الصلوات الخمس تحوي السكون و الحركة في آن واحد فهي كاملة من هذه الحيثية.عضلات الجسم تتحرك و تتمدد و تتنشط في الصلوات الخمس, و لنسميها صلاة الذكر, تتحرك باسترخاء لمن يعرف كيف يؤديها, و لذلك فهي مريحة و ممتعة.

و المعلوم أن العقل اللاشعوري أقوى بآلاف المرات من العقل الشعوري. و العقل الشعوري يتوقف أو يضعف عندما يتحرك بحركة رتيبة مستمرة و بأن يذكر المرء كلمة و يكررها, كأنه الأم التي تلقن الطفل لينام. و كلما خبت الشعور اشتعل اللاشعور, فيخرج الانسان من حالة العقل الى حالة السماع, يسمع ما يدور في باطنه من الوحي العميق. و هذا ما تقوم به صلاة الذكر بحركاتها و أذكارها "و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير". و أرى انه من الاحسن أن نسميها صلاة السماع, اذ تلاوة القرءان ايضا ذكر, و أيضا سماع, و لكن السماع في هذه الصلاة هو من عمق الذات, و في القرءان هو سماع للقرءان نفسه. فالأول أكثر تجريدا. فسنسمي التأله بصلاة السماع, و نسمي الدراسة صلوة العقل.

و بحسب الحق, فان الانسان يجب أن يسكن و يتحرك في آن واحد, اذ الوجود المطلق يحوي السكون والحركة, و صحة الجسم في السكون و الحركة. و من المعلوم أن نور الله "لا شرقية و لا غربية" ووجه الله "فأينما تولوا فثم وجه الله" و لذلك من الجهل أيضا البحث عن الله خارج النفس. اذ هو هنا كما هو هناك من حيث الحق. و لذلك أيضا من الجهل أن تكون العبادة محتاجة الى حركة من مكان الى مكان من حيث الأصل. فكيف نوفق بين حقيقة ضرورة السكون و ضرورة الحركة في آن واحد؟ الحل الوحيد هو أن تكون الحركة في السكون و السكون في حركة. و هذا حال صلاة الذكر السماعي اي الصلوات الخمس.

في صلاة السماع (هذه الخمسة) أنت ساكن في مكان واحد, و لكنك تتحرك في هذا المكان. فهل يمكن حتى تصور أكمل من ذلك؟ لا. فلكون الله في كل مكان و مطلق, فهذه الحقيقة اقتضت ان تكون الصلاة سكون في مكان واحد, و لكون الجسم يمرض ان بقي طويلا على هيئة واحدة و يتعب فاحتاج الى الحركة, و من الجمع بين تلك الحقيقة و هذه الضرورة خرجت هذه الصلاة.

و اعلم أن هذه الصلاة لا يقوم بها الا محب لها عارف لقيمتها. فهي ليست فرضا و لا واجبا و لا أي من هذه التسميات التي تدل على أن الصلاة عمل مكروه لنفس مرفوض من العقل. ان الذي يرفض الحيوة الدنيا, أي حياة اللعب و التكاثر في الأموال, و يطلب معيشته بعلم و عزة و كرامة و على قدر ما يحتاج, فانه سيكون كثير التفرغ. فكيف يملأ فراغه؟ بالانشغال بالله. دراسة كتابه, و بصلاة السماع او التأمل التي تسلي القلب و تريحه من جهد التدبر و الكتابة و حل المسائل.

و الذي يقوم بأي حركات للتأمل و السماع و الذكرو ينسى أو يتهاون في الصلوة الربانية, دراسة الكتاب, فهو و لا شك من أضل الناس, و هو من الذين يستعملون الله ليكذبوا بالله. هو الذي كذب على الله اذ يزعم أنه يصلي و هو لا يصلي, و يزعم أن الله لم يأمر الا بهذه الصلاة. افهم هذا جيدا: ان كتاب الله لا يعرف صلاة الا دراسة كتاب الله. فافهم هذا جيدا و لا يكن الأمر مشوش في عقولكم.

اننا نمارس الرياضة و كتاب الله لم يجعل هيئة معينة تقام بها, اننا نلبس الثياب و القرآن لم يحدد نوع معين من الأقمشة و المقاسات بحيث لا يجوز الا هي. و كذلك ذكر الله ليس له طريقة واحدة محددة, فكما أننا نبحث عن أحسن أنواع الرياضة لنا, و أحسن أنواع الثياب فكذلك نبحث عن أحسن طريقة لذكر الله و التأله. و الأصل أن الأمر مباح الا اذا منعه كتاب الله, اذ الخير أصل العالم.

و لا تجعل الصلاة سبب تعقيد في حياتك , ولكن سبب راحة. ولا تجعلها سبب لتقييدك في مكان معين, و لا تجعلها تصيبك بالهم و الغم و القلق. اعرف أنك في سعة أن تقوم بها أو لا تقوم بها كما أنك في سعة أن تنام أو لا تنام و أن تأكل أو لا تأكل. افعل ما تشاء.

اذا عودت جسمك على ثلاث وجبات دسمة في اليوم, فانك اذا خالفت هذه العادة في يوم ما ستجد ألما في معدتك و تشوشا في تركيزك. و كذلك في ذكر الله و هو من طعام القلب, فانك اذا عودت قلبك على أذكار معينة كل يوم ثم جاء يوم و تركت هذه الأذكار فستشعر بغم في قلبك. و لذلك اذا فاتك ورد تعودت عليه فتتناوله لاحقا بفرحة. أنت أمام أحد أمرين: اما أن تتعود على وجبات ضخمة كل يوم حتى تصبح أكبر و بالتالي لتجنب الألم عليك أن تحافظ على هذه الوجبات الضخمة باستمرار. و اما أن تتعود على وجبات عادية بسيطة و ستكون عادي بسيط في قلبك و لكن سيسهل عليك الحفاظ على توازنك, و بالطبع في الأعياد تناول الوجبات الضخمة! و كلا الأمرين خير, و لكن الأول أكبر, و مفتول العضلات أحسن من الضعيف! فاختر ما شئت فقد علمت.

و تذكر أن الذي يعمل لله يسخر له الله من يعمل له. و هذه ليست قاعدة للتكاسل و لكنها من علم الغيب الذي في الكتاب. و الله يعلم ما تسرون و ما تعلنون.

فاذن التفاضل بين طرق التامل ليست باعتبار التأمل ذاته و لكن لعوارض أخرى, التأمل او السماع هو امر قلبي وجودي, و لا علاقة مباشرة له بوضعية الجسم. و لكن على فرض ان الانسان صحيح الجسم و يريد ان يجمع بين الحركة و السكون اذ انه من الذين يطيلون التأمل و الذكر, فما هي الطريقة الأحسن له؟ حركات الخمس يمكن ان تدرج تحت المحاولة على الاجابة عن هذا التساؤل. و هنا نتحدث عنها كحركات فقط, و اما بقية فروعها فلنا عليها انتقادات ذكرنا بعضها سابقا.

فمثلا, كون التأمل او صلاة السماع يجب ان تكون صامتة لا كلام فيها, فهذا مما يجعلنا نجرد هذه الحركات عن الاذكار. و قد فصلنا هذه المسألة فيما سبق. فلكي تسمع النداء حقا يجب ان تكون منصتا. "و اذا قرئ القرءان فاستمعوا له و انصتوا لعلكم ترحمون". و على الأوقات المعينة قد فرغنا من ذكر الانتقادات عليها من قبيل ظروف كل انسان و وجوب اخذها بعين الاعتبار, و أيضا رغبات كل انسان فمن الناس من يكون قلبه مستعدا للصلة في النهار و يموت في الليل و منهم عكس ذلك و منهم بين بين. و اما عن امكان اقامتها فردا فهو امر جائز حتى في صورتها الحالية المتعارف عليها.

و يوجد مسألة هامة: اذا كان النبي الأول عليه السلام هو فعلا الذي استنبط هذه الحركات و اختارها لنفسه (اذ كما عرفنا الله ترك المجال واسعا لكل مؤمن ان يختار وسيلته في الاتصال, و الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق كما يقول اهل المعرفة, فمما يحتمل ان النبي الاول عليه السلام اختار هذه الطريقة لنفسه) فلماذا جعلها كلها حركات عبودية و ليس فيها حركات الصداقة و المحبة كالقعود و على جنب؟ الجواب: كون النبي جعل وسيلته في الذكر ليس فيها الا حركات عبودية محضة لا يعني أنه لم يكن يعمل بالوسائل الأخرى في اوقات اخرى. ثم ان هذا قد يكون ذوقا شخصيا له و مرتبة عرفانية هو فيها. و اذا عرفنا ان في الذكر يكون الله هو الموجود الوحيد فان هذا يقتضي ان ينمحي ما سواه, و العبودية المحضة تعبير عن هذه الحالة. فلعله من شدة ارتفاعه في درجات المعرفة خشي على نفسه التكبر, و درس ابليس حاضر في ذهنه, و لعل هذا جعله يخشى ان يضم في طريقة ذكره أي وضعية قد تورث التكبر , و معلوم ان الانسان كلما ارتقى في المعرفة الالهية تكون حساسيته أشد, فحسنات الابرار سيئات المقربين كما هو معروف. فيوجد نوعين من الناس كما يقول ابن عطاء الله السكندري : من الناس من تسبق انوارهم اذكارهم, و من الناس من تسبق اذكارهم انوارهم. أي من الناس من يصل الى الحالة المعرفية القلبية ثم من وحي هذه الحالة ينطلق في اعماله و رغباته و يشكل صورة تعبداته. و من الناس من يأخذ صورة العبادة اولا دون اي فهم ثم مع طول ممارستها و التعمق فيها و الحضور القلبي الخالص فيها تشرق عليه انوار معانيها و تتكون فيه الحالة المعرفية. و لا شك ان الصنف الاول من الناس هو الاعلى, هم الذين ينطلقون من الباطن الى الظاهر. و النبي و لا شك كان من هؤلاء. و يظهر من قصة المعراج (على فرض صحتها) هذا المعنى, فالنبي وصل الى الله اولا

ثم اخذ الصلاة. و المعنى هو انه وصل الى الله قلبيا ثم اخذ صورة و تمثال هذه الصلاة ظاهريا حتى تكون له ذكرى. نعم الانحصار في صورة واحدة يعني الانحصار في مقام واحد. و لكن اذا كانت هذه الصورة تحوي اعلى المقامات, و هو مقام العبودية على رأي بعض العارفين, فاذن لا حاجة للنبي في اخذ صورة اخرى. و لعل في ما يروى عن النبي انه كان يقول "سبحانك ما عبدناك حق عبادتك" فيه هذا المعنى الذي اشرنا اليه. فالنبي الذي كان في ذروة المقامات العرفانية, و نزل عليه اعظم كتاب و هذا بحد ذاته يدل على قلبه المقدس اذ لا ينزل الماء الا بحسب الوعاء, فان كان الماء هو القرءان فما ظنك بالوعاء! و مع هذا المقام العالي كان يقول "ما عبدناك حق عبادتك"! و لذلك دعاء النبي يكون "رب زدني علما" و حيث ان الله مطلق لا ينتهي جلاله و كرمه, فهذا يعني وجود التذلل و العبودية ما دام الانسان حيا "ان كل من في السموات و الأرض الا اتي الرحمن عبدا". فاذا كان مقام العبودية هو أعلى المقامات العرفانية, مقام الفقر الى الله, فهذا يعني ان صورة العبادة التي تحوي رسومات العبودية و الفقر هي الصورة الأكمل. لأنها تحوي ما دونها.

و لكن هل هذا يعني اتخاذنا لأصنام؟ أقول: ليس كل عمل جسماني يتخذ كوسيلة لله يعتبر صنم, و الا فان هذا القرءان المطبوع على ورق هو أيضا صنم! و ان النظر في هذا القرءان أيضا يكون صنم! و الجلوس للتأمل المجرد ايضا صنم! لا , يجب أن لا نتهور في اطلاق الصنمية على اي شئ جسماني. اذ لابد لمن في الجسم ان يتخذ وضعية جسمانية ما او صورة ما للوصول الى الله. و هل فب عالم الافاق و الأنفس الا صور؟! و مع ذلك يقول الله "سنريهم ءايتنا في الافاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق". الصنم هو الصورة التي لا روح فيها. اي التي تتخذ لذات الصورة. و اما بحضور المعنى و الروح فان الصورة تصبح عين الحق و ايته. فيجب أن ننفخ في الصور حتى تقوم الساعة, ساعة الحياة.

على ذلك تكون اي صورة لها معنى روحاني هي من ايات الله فلا تنحصر وسيلة العبادة في هذه الصلوات؟ نعم هذا صحيح تماما. العبرة ليست بالصورة بل بالجوهر. فمن الناس من يعتبر القرءان في حقه صنم, و من الناس من يعتبر القرءن في حقه وجه الله. القرءان هو القرءان, الفرق هو وجود الروح فيه بالنسبة لاحدهما و انعدامه بالنسبة للاخر. و لذلك القرءان لم يذكر رسم معين للتعبد لله, فكل رسم صحيح طالما ان المراد به وجه الله و الذي يعمله يدرك امرين: يدرك ان العبرة ليست للرسم, و يدرك روح الرسم.

حركات الصلاة هذه هي تعبير بنفسها. فعندما "يركع" الجسم يكون هذا -اذا حضر القلب طبعا- هو تعبير اقوى من القول على حالة الركوع القلبي. فالله يقول "لم تقولون ما لا تفعلون" فيجب ان نترجم اقوالنا الى افعال. و يجب ان نترجم حالاتنا الروحية الى افعال على كل المستويات. و حالة التواضع يعبر عنها اما بقول و اما بفعل, و العبرة للفعل. فعندما يسكت اللسان و يتكلم الجسم بالفعل, يكون صوت الكلام عاليا جدا! فالتواضع مثلا يعبر عنه بالركوع, و القبول المطلق لله و الفناء فيه يعبر عنه بحركة السجود. و مصيبة الحركات هي عندما يركع الناس و هم لا يركعون, و يسجد الناس و هم لا يسجدون, يصلي الناس و هم لا يصلون, "ويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم

ساهون, الذين هم يراؤون" فترى المتسلط المتعجرف المغرور يركع ظاهرا و يحسب انه قد صلى, و لا يعلم انه تحت الويل, و يسجد الاف الناس في مجتمعاتنا المسلمة (هكذا يدعون على الأقل) و هم أبعد الناس عن روح الله و العلم و العدل و الاحسان. بسبب امثال هؤلاء يندفع البعض من العلماء و المحبين للقسط و الرقي و يقول: يجب ان ندمر هذه الأصنام المسمى الصلوات الخمس او العشر او حتى القرءان. بالنسبة لهم هو صنم, لانهم قتلوا روحه. فعندما ندمر هذه الاصنام, لن يبقى للناس من مفر ان رغبوا في الله الا بان يصلوا اليه بالروح و الارادة القلبية, و بعد ذلك تكون انوارهم قد وجدت, و بعد ذلك يجوز لهم ان يصوروها فتكون صلاتهم عين التوحيد الالهي. المرا ءاة لا تكون الا بافعال ظاهرية, فايات الويل هذه تنصب على اناس حفظوا الظاهر و اماتوا الباطن, و حيث انهم قتلوا الباطن فهذا يعني انهم يقومون بالظاهر لأجل شئ اخر, لاجل انسان اخر. فالله الحقيقي خرج من حسبانهم, حتى لو كانت افعالهم في نظرهم هي بسبب الخوف من الله او الرغبة في الجنة التي يأملون فيها بعد الموت المعروف.

يوجد تساؤل يطرق على ابواب قلبي يقول: اذا كانت كل صورة هي تعبير عن روح معينة و مقام ما, و اذا كانت الارواح مختلفة فمنها مرفوض و منها مقبول فمثلا من المرفوض ان يتكبر الانسان على الله الا ان رغب ان يكون كابليس فهذا موضوع اخر, فاذن يوجد صور حسنة مقبولة و يوجد صور اخرى مرفوضة, حتى لو فهم الناس المعاني الكامنة فيهما, اليس كذلك؟ أقول: هذا استنباط رائع. نعم, فعلا ان الصورة تحوي المعنى, فالمعنى الى حد ما محكوم او كامن في الصورة, فان كنا نريد الوصول الى معاني معينة لاننا نرفض غيرها, فهذا يعني انه علينا ان نلتزم بصور معينة. و على ذلك لا تكون كل الصور مقبولة في العلاقة مع الله. بالنسبة للقرءان, هو يعلم علاقة معينة مع الله و ينهى عن علاقة اخرى. فكما قلنا مثلا التكبر مرفوض, القول على الله بغير علم مرفوض, و هكذا. فاذن يجب ان يأخذ كل انسان هذه الحقيقة بعين الاعتبار و هو يكون صورة علاقته بالله. و احسب ان هذا الامر سيكون متوفر لاشعوريا في كل انسان و ليس للوعي فيه الا أثر بسيط. فابليس لن تنفعه امثال هذه الحقائق, لان قلبه في حالة تكبر, فصورة علاقته و كلامه سيكون مشوبا بالتكبر و الرفض لأمر الله و التعالي عليه. و اما العارف فان قلبه سيكون في الله و بالله, و من هذا المقام فان كل صورة تصدر منه ستكون الهية بالنسبة له لانه ينطلق من حال, و ليس من مقال, و حاله الهية فصورته ايضا الهية ايا كانت. فانما تنفع هذه الحقائق مع العارف الذي يريد ان يصوغ صورة عبادة و يعلمها للناس, سواء كانت نفس صورته هو او صورة اخرى. و لكن اذا اعطاهم صورة غير صورته أليس هذا من باب "اتأمرون الناس بالبر و تنسون انفسكم"؟ لا, لانه يقوم بصور اخرى تناسبه هو, كمثل الطبيب الذي يصف دواء للمريض, هل يدخل هو أيضا تحت هذا التهديد و هو قول ما لا يفعل! بالطبع لا يدخل اذا كان يحافظ على صحته بطرق اخرى تناسب حاله و ظروفه. فمن الناس من يطلب من العارف ان يعلمه وسيلة في ذكر الله مثلا, فيقوم العارف بصبغ المعنى الذي يريد ان يجعل هذا المريد أن يحققه في قالب عبادة معينة او ورد معين. و من الخلط الكبير ان يقوم هذا المريد بتعليم هذه الصورة الى الناس , اذ لعله لا يناسبهم و لكن يناسبهم امر اخر. لا نستطيع ان نعامل الناس كقطيع من الغنم, و توحيدهم كلهم تحت صورة واحدة في وقت واحد في كل زمان و مكان. في الامر سعة و تدرج. مثلا, الذي يشعر بانكسار في حياته لسبب ما يجب ان تكون صورة علاقته مما يخلق فيه الشعور بصداقة الله حتى تتوازن نفسيته, و لكن اذا جعلنا صورة عبادته ايضا حركات عبودية محضة و انكسار مثل وضع رأسه على الأرض و ما شابه, فان انكسار الى انكسار يولد انفجار! و هكذا الانسان المستغرق في العشق يجب ان تكون صورة علاقته مما يولد العبودية حتى لا تأخذه عزة العشق بالاثم و سوء الأدب

المحض فينتهي الى عاقبة مريضة . المفترض الأكمل كما بينا أن يكون قلب الانسان عبدا صديقا عاشقا, و قمة التوازن ان نرجح احدى هذه المقامات على الاخر في كل حالة انسانية تواجهنا, حتى يكتمل القلب. القلب له ابعاد متعددة, و اي حصر له في بعد واحد هو اخلال بالتوازن و ستكون العاقبة غير محمودة. غذوا نفوسكم من الوان مختلفة حتى تكمل و تشبع بالله و الحياة.

يمكن ان نمثل للعبودية و الصداقة و العشق بانهار ثلاثة, و قلب العارف المتكامل بالبحر. و على هذا القلب ان يفتح ابوابه لهذه الانهار الثلاثة, فيكون كأسا من النعيم مزاجه عظيما.

ان العلم و العرفان و القرءان يمنعني من الاقرار بصورة واحدة حصرية للعلاقة بالله. فأقصا ما يمكن اخذه من هذه الصلوات الخمس هو صورة من صور العبودية, و التأله. و لا يوجد شئ وراء ذلك.

يرغب الناس عامة باجوبة سهلة بسيطة و لا يحبون تحمل الأمانة و المسؤولية. يظهر ان الناس تفضل ان تكون مستعبدة لجهة ما, و تضحي بكرامتها و قلبها. مهما قلت و فعلت ففي نهاية المطاف لن نصل الا الى جواب واحد: عليك ان تسلك الطريق الى الله بنفسك. و بعد الوصول او الاقتراب سترى ما عليك ان تفعله بنفسك. و طالما ان قلبك يريد الله فان الله هو الذي سيهديه "و من يؤمن بالله يهد قلبه" و "من يتوكل على الله فهو حسبه" "أليس الله بكاف عبده"!

22 (اقرار ضمني من شرع ظاهري)

ما نعلمه من القرءان و العرفان هو أن اصل الصلة بالله هي أمر جوهري قلبي واحد, و لكن هذا الجوهر يمكن أن يتمثل في صور متعددة كثيرة. و لا يجوز بحال من الأحوال أو بمنطق ما مهما كان ان يحتكر الجوهر في صورة واحدة. فيقول: كل من لم يسلك عن طريق هذه الصورة فلن يصل الى الله. هذا هو المحذور القرءاني العرفاني الوحيد تقريبا في هذه المسألة. فمثلا, أنت قد تصل الى حقيقة علمية ما عن طريق سلوك طريق معين, و غيرك قد يسلك طريقا أخر فيصل الى نفس النتيجة, فان كان للحقائق الجزئية يوجد طرق متعددة, فما ظنك بالحقيقة المطلقة لوجه الجليل العظيم تبارك و تعالى الذي هو الوجه الظاهر في كل قبلة يتولاها الانسان كما صرح القرءان "و لله المشرق و المغرب فأينما تولوا فثم وجه الله". و لا يحق لك أن تتكهن بأن كل الناس سلكوا نفس طريقك للوصول الى الحقيقة سواء كانت جزئية او كلية أو مطلقة. و كمثل اخر, تأمل الماء الواحد الذي ينزل من السماء كيف يخرج

أشجار و ثمار مختلفا ألوانها, فتعدد الأشجار لا يعني تعدد الماء, كذلك أمر الله بالاتصال به و ذكره هو كالماء النازل من السماء و أما الصور الجسمانية التي يقوم بها الناس لتنفيذ هذا الأمر الالهي يتعدد. و لاحظ ان الله تعالى ضرب عين هذا المثل في كتابه العزيز, ثم قال "و نفضل بعضه على بعض في الأكل" و ظاهر أن هذا التفضيل لا يرجع الى الله تعالى اي ان الله تعالى لا يفضل التفاح على الموز, أو التين على الزيتون, و ما شابه, و انما التفضيل هو بالنسبة الى الناس الاكلين لهذه الثمار, و هذا هو عين ما نقوله, و هو أنك أنت يحق لك بل يجب عليك أن تختار الطريقة التي تعجبك و تفضلها على غيرها و تريحك في ذكر الله و الاتصال به, و أما بالنسبة لله تعالى فهو لا يفضل هذه الطريقة على تلك أو هذه الصورة على تلك أو ذلك الطقس على ذاك, فالله لا ينظر الى صورنا و لكن الى قلوبنا. فمن كان قلبه مع الله فليتخذ أي صورة شاء, لان الصورة مجرد جثة روحها المعرفة و التوجه و النية, و الجثث كلها متساوية (اذهب الى المقبرة لتتاكد!) "انك ميت و انهم ميتون", نعم يوجد جثث لا تأكلها الأرض فهي باقية على ما يقال, و تأويل ذلك في هذا المقام هو أن بعض صور الصلاة و طرق ذكر الله يمكن ان تفنى او يتعذر القيام بها في مرحلة ما من مراحل الحياة او بسبب من الأسباب, و بعض الطرق لا يوجد فيها هذا الأمر. مثلا, ان كانت الطريقة هي هذه الصلوات الخمس باوقاتها و قيامها و ركوعها , فانك ان وضعت في سجن لا ترى فيه الشمس فانك لن تعرف الاوقات, أو اذا أصابك مرض معين فقد يحول بينك و بين القيام, أو اذا كبرت و شخت و اشتعل الرأس شيبا فقد لا تقوى على الركوع, و هكذا بقية الموانع. و حين تأتي هذه الموانع فانها في الحقيقة "تأكل" جثة صلاتك الظاهرية, فتمنعك من القيام بها على تمامها, فتنتقص أرض طريقتك من أطرافها. و لكن من كانت طريقته هي مجرد الغوص الروحي العميق في ذكر الله بدون التفات مهم لصورة الجسم أثناء هذا الذكر- و ان فضل صورة على صورة في حال الصحة او العادة- فان مثل هذه الطريقة لا يمكن ان تنتقص أو أن يأكلها الفناء في أي فترة من فترات الحياة, فحتى لو وضعوه في سجن مظلم و ربطوا يديه و رجليه و منعوه الماء فانه يستطيع أن يقوم بصلاته كما كان يقوم بها حينما كان حرا طليقا يتمشى على البحر في عز النهار وسط ازدحام الناس. على كل حال تفضيل طريقة على طريقة يرجع الى ذوق و مشرب الانسان نفسه. و أما فرض طريقة معينة على الكل, فانه طغيان, و أما ادعاء أنها الطريقة الوحيدة الموصلة الى الله تعالى فهو كفر بالله العظيم فضلا عن أنه تقول على الله بغير علم, و زعم ضمني بأن يد الله مغلولة لا يبسطها الا حيث يشاء هؤلاء المحتكرون و ليس حيث يشاء الله تعالى نفسه-حاشا.

و اذا نظرنا في التشريعات الفقهية للصلوات الخمسة سنجد أنها تقرر ضمنيا بالحقيقة السابقة, أي ان جوهر الصلاة قلبي و ما صورتها الا أمر ثانوي. و التشريع الذي يكشف هذا الاقرار هو حكمهم بأنه: لا تسقط الصلاة بحال من الاحوال. فحتى اذا عجز الانسان عن القيام فانهم يأمرونه بان يصلي قاعدا, و ان عجز عن القعود فعلى جنبه, بل اذا عجز عن الحركة فانهم يجيزون له بأن يصلي بمجرد تحريك اصبعه, بل حتى اذا عجز عن ذلك فانهم يأمرونه بأن يصلي بعينيه ! فاذن هم يجيزون الصلاة و قيامها حتى مع ذهاب كل حركاتها و صورتها الظاهرية. هذا أولا. و أما من جهة التوجه الى "الكعبة" كقبلة ظاهرية, حتى هذه هم يجيزون الصلاة بدونها, فان الانسان اذا عجز عن معرفة جهة هذه القبلة الحجرية فانهم يأمرون بأن يجتهد ما استطاع ثم يصلي حيث يشاء. فاذن هم يجيزون الصلاة بدون التوجه الى "الكعبة" تحت ظروف معينة. و هذان الأمران يتفق عليهما معظم الفقهاء من شتى الفرق و المذاهب, و أقول "معظم الفقهاء" لاني لا أدري لعله يوجد فقيه هنا أو هناك قال بغير ذلك, الا أن الرأي السائد المشهور الذي يعرفه العامي قبل العالم هو ما ذكرته قبل قليل, فعلى المفكر و الكاتب أن يحذر من اطلاق دعوى الاجماع, فما

أدراه لعل أحد المخالفين لم يكتب رأيه بسبب التقية أو لعله كتبه ثم أحرقت كتبه أو فنيت لسبب أو لاخر. فحسبنا في هذا المقام ما اشتهر و ساد. فاذن النتيجة من هذا هو التالي: الفقهاء و الناس عموما يجيزون الصلاة و يعتبرون صحتها حتى لو لم يقم الانسان بأي حركة من حركاتها الظاهرية و حتى لو لم يتوجه الى هذه القبلة أي هذه الكعبة الموجودة في شبه جزيرة العرب. طبعا هم يجيزون ذلك بشرط واحد و هو :عدم الاستطاعة. أي من لم يستطع أن يقوم بالحركات الظاهرية فلا بأس صلاته مقبولة مهما كانت صورته الجسمانية حين القيام بها, و كذلك ان لم يستطيع أن يعرف جهة هذه الكعبة فان صلاته أيضا مقبولة حتى لو توجه الى الفاتيكان أو الى بيت دعارة و هو لا يدري! فعدم الاستطاعة تبيح عندهم ازالة الصورة المعينة. أي ان الشريعة الظاهرية للصلاة تزول بزوال الاستطاعة على القيام بها, و يجوز عندها القيام بأي صورة. تأمل هذا جيدا, فانما أكرره لأهميته و دلالته.

حسنا, الآن كأني أسمع فقيها يقول: نعم, و لكن ما علاقة هذا بما تدعيه أنت من أنه يجوز زوال الصورة الظاهرية للصلاة حتى مع الاستطاعة؟ فشتان بين أن نبيح للناس أن يتخذوا أي صورة في صلاتهم حينما لا يستطيعو أن يقوموا بالصورة الشرعية لها, و بين أن نبيح لهم ذلك باطلاق في كل وقت. فأي دلالة تدعي وجودها في هذه الرخصة الشرعية؟

الجواب: كونكم تجيزون استبدال صورة مكان صورة, هو بحد ذاته دليل على أنه تجوز الصلاة بكل صور. و ليس شرط عدم الاستطاعة الا ابتداع من عندكم. البرهان؟ هو أنكم لا تجيزون استبدال كعبة مكان كعبة اذا لم يستطيع الانسان أن يحج الى تلك الكعبة المعينة بالذات القابعة في صحراء شبه جزيرة العرب. فلو كانت صورة الصلاة مطلوبة لذاتها في فريضة الصلاة, كما أن الحج الى هذه الكعبة هو عندكم مطلوب لذاته في فريضة الحج, لكان الواجب ان تقولوا بسقوط الصلاة اذا تعذر القيام بها بكامل صورتها الشرعية من حركات جسمانية و توجه الى هذه الكعبة الحجرية. فمثلا, اذا سألت فقيها: هل الحج الى هذه الكعبة مطلوب لذاته أم أن هذه الكعبة مجرد صورة رمزية يمكن استبدالها بغيرها ان تعذر الوصول اليها, فان لم يستطع بعض الناس لسبب ما أن يحجوا اليها فانه يجوز لهم أن يطوفوا حول حجر مكعب يقيمونه في بلادهم أو بيوتهم؟ الجواب المعروف هو المنع من ذلك. لان صورة هذه الكعبة مطلوبة لذاتها و جوهرها كامن في ظاهرها, فلا سبيل الى استبدالها بغيرها و اي استبدال لها يسقط قيمة الحج كله عند الله تعالى. فهنا اذن يتبين لنا الفرق بين طلب الصورة في العبادة لذاتها أم لا. لذاتها يعني انه لا يمكن استبدالها و يسقط التكليف بالفرض ان تعذر الوصول اليها. لغيرها أي ان الأساس هو القلب و الروح و أما الصورة فمسألة ثانوية يجوز استبدالها, فان الشريعة حينها ستكون متساهلة بل مرخصة لاسقاط الصورة مع تصحيح القيام بالفرض و اعتباره مقبول شرعا اي مقبول من الله تعالى.

فاذن الأصل المشترك بين نظرية العرفاء و الفقهاء في هذا الأمر هو: قد تقبل الصلاة بدون أي اعتبار لظاهر صورتها و انما فقط بروح القائم بها.

و الاختلاف بين نظرية العرفاء (كما أسميها, و هذه التسمية لا تعني أن كل من سموا باسم العرفاء يقبلون بهذا القول, فانا أتكلم عن ما اراه و لا أتكلم بالنيابة عن انسان اخر) و الفقهاء هو : العرفاء يقولوا دوما, الفقهاء يقولوا بشرط عدم الاستطاعة.

و الاختلاف الثاني هو : العرفاء يجعلوا تفضيل صورة على صورة في الصلاة راجع الى تفضيل و ذوق العابد لله, و اما الفقهاء فيجعلون الصورة الأساسية هي الأصل و يدعون أن الله أو النبي الأول عليه السلام كان يعتقد بأن الطريق الى الله محصور بهذه الصورة كأصل. فالتفضيل عند العرفاء يرجع الى ذوق الآكل, و هذا يتعدد باختلاف الآكلين (كما عبر القرءان), و أما الفقهاء فيريدون أن يكون لكل الناس معدة واحدة و ذوق واحد و يجب عليهم جميعا ان يحبوا و يرضوا بما كان يشتهيه النبي الاول عليه السلام (هذا ان سلمنا لهم بدعواهم). فمعدة كل مسلم و مسلمة يجب أن تكون مشتهية لنفس ما اشتهاه مولانا محمد بن عبد الله عليه السلام. و كأنه في قدرة الانسان أن يشتهي ما لا يشتهيه بحسب فطرته و استعداده! و كأن الذي خلق هذه الاذواق و المشارب المختلفة هو ابليس مثلا و ليس الله تعالى رب الاسلام و رب محمد أيضا ! و من هنا يمكن ان ندرك فساد الذوق الذي أصاب معظم الناس الذين طغى عليهم الفقهاء و أشباههم. فمعلوم أن الذي يتم اجباره على أكل طعام لا يشتهيه و يعارض ذوقه و استعداد فطرته فانه ينتهي به الأمر الى الخبل و البلادة و سوء الهضم و فساد الذوق و سوء النفسية. و خالق الناس و ربهم لا يمكن أن يفعل هذا بهم. و انما يفعله بهم الطغاة كالعادة.

و الاختلاف الثالث المهم هو: العرفاء لا يقيمون للصلاة وزنا و لا يعتبرون قبولها الا ان حققت حالة الروحانية في حياة العبد, و أما الفقهاء فان القيام بظاهر الصلاة كاف لاعتبار قبولها شرعا, بل حتى لو جاء ظالم و اغتصب بيت انسان مسلم و طرد هذا المسلم و أهله من البيت و شردهم في الشوارع, و سكن هذا الغاصب الظالم في هذا البيت المغصوب ظلما و عدوانا, ثم أذّن مؤذن صلاة العشاء مثلا فقام الغاصب الملعون و توضأ فأسبغ الوضوء على جسمه, ثم وقف و توجه الى البيت الحجري في صحراء الأعراب, ثم أتم ركوع الصلاة و سجودها, فان بعض الفقهاء يجيزون هذه الصلاة و يعتبرون قيامها و صحتها شرعا. و لذلك كان أشد الظالمون بطشا و سفكا للدماء و نهبا للبلاد و العباد و ترفا و فسقا و فسادا يصلي الصلوات الخمس و يعتبره "المسلمين" أنه مسلم لله الواحد القهار و أنه مقيم للصلاة. حتى لو صلى فيهم صلاة الفجر بأربع ركعات و هو سكران ثم بعد أن يفرغ من الصلاة يلتفت اليهم يسأل المصلين "هل أزيدكم ؟". فطالما أنه أقام ظاهر الصلاة فهو يعتبر مصلي و الله حسيبه. و أما عند العرفاء فلو كان يصلي ألف ركعة في اليوم و يختم القرءان في كل ركعة من هذه الركعات, ثم لم يكن عادلا عارفا مصلحا, فانهم يساوون بين طقوسه هذه و بين قرد يقفز من شجرة الى شجرة و يأكل الموز و يعبث مع أصحابه القرود و يلعب معهم و يقضي وقته في الغابة كمجرد تسلية. فباختصار, العرفاء لا يعترفون بشرعية صلاة لا تنهى عن الفحشاء و المنكر و لا تنتج روحا و رحمة و علما. أصل شرعية هذه الصلاة مرفوض عندهم. و ليست المسألة مجرد زهد و رقائق و ترغيب و ترهيب كما هو أسلوب الشعراء الوعاظ. و انما المسألة جدية كل الجد, هذه الصلاة غير مقبولة و غير شرعية و القيام بها يساوي عدمها. فلا اعتبار عندهم لصورتها, و انما الاعتبار بروحها و ثمرتها. فكل ما أنتج روحا طيبة فهو مقبول مهما كانت الصورة, و كل ما أنتج روحا خبيثة فهو مرفوض مهما كانت الصورة. بل ليس للصورة علاقة مباشرة بالأمر أصلا. بدليل أننا نجد ممن يقوم بهذه الصلوات الخمسة مثلا و روحه أطيب روح, و أيضا نجد من يقوم بها و روحه أخبث روح. فان كنا سننسب الطيبة و الخبث الى الصورة ذاتها فيجب ان يكون أثرها

واحد في الاثنين. و هو خلاف المعلوم و المشاهد. و كذلك في بقية الصور. فالظاهر لا يؤثر في الباطن بقدر ما يؤثر الباطن في الظاهر.

فاذن أهم فروق بين نظرية العرفاء و نظرية الفقهاء في شأن صورة الصلاة ثلاثة من ثلاث حيثيات مختلفة:

فمن حيث تحديد صورة معينة: العرفاء لا يحددون أي صورة معينة, الفقهاء يحددون صورة معينة يجوز اسقاطها لمن لم يستطع القيام بها.

و من حيث السلطة التي تحدد صورة الصلاة: العرفاء يرجعونها الى تفضيل كل فرد في حد ذاته, الفقهاء يدعون رجوعها الى مولانا محمد بن عبد الله عليه السلام و منه الى الله تعالى.

و من حيث قبولها شرعا: العرفاء يعتبرون قبولها بشرط ثمرتها الصالحة, الفقهاء يعتبرون قبولها بشرط اتمام أركانها الظاهرة و ما سوى ذلك من أمور معنوية هو عندهم من الأمور الزائدة التي قد تكون مطلوبة أو عند البعض قد تخالطها البدعة التي يجب الحذر منها.

فصلاة العرفاء و صلاة الفقهاء هي كما ترى, صلاتين مختلفتين في الأصول العلمية و الفروع العملية على السواء. و صلاة العرفاء واسعة موافقة لقلب كل انسان, و صلاة الفقهاء ضيقة جدا يمكن ان توافق بعض الناس و لكنها تفرض فرضا و كرها على البعض الاخر. و قد يكون هذا البعض الكاره لهذه الصورة هو ممن يريد وجه الله تعالى فعلا, و لكنه يفضّل طريقة أخرى على هذه الطريقة, و حيث ان الفقهاء أكرهوه بسد الأبواب الأخرى في وجهه فان النتيجة هي أن ينتهي الأمر بهذا المريد الى فساد الذوق كما بينا قبل قليل و كما يعرف كل مجرب و مشاهد مدقق.

فهذه صلاة العرفاء و هذه صلاة الفقهاء, تأمل فيهم جيدا و اختر أحبهما اليك و أشدهم معرفة بذاتك و تقديرا لكرامتك. و " لكل وجهة هو موليها. فاستبقوا الخيرات. أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا".

23 (حقيقة و تساؤل محوري و ملاحظة)

محور هذا الدين كله هو كتاب الله. هذه حقيقة قطعية.

و التساؤل هو : هل نظّم الله تعالى تعامل و تفاعل المؤمنين مع كتابه ؟

الجواب المفترض هو نعم, كما ان الله نظم كل شئ عموما و وضع الأصول العلمية و الفروع التفصيلية حيث يجب أن توضع, كما فعل في مسألة الطلاق و الدين مثلا, فلا أقل أن نفترض أنه فعل نفس الأمر مع عمل من أهم الاعمال على الاطلاق في هذا الدين الذي هو التعامل مع كتاب الله.

فالسؤال الان: تحت أي مصطلح قرءاني وضع هذا العمل و التنظيم؟

الجواب: أولا في ظل مدرسة الأحزاب أو "الفرق الاسلامية" لا يوجد مثل هذا المبحث أصلا. فكل ما يقال في تعامل المسلم مع القرءان انما هو أمور زائدة ثانوية لم يشرعها الله تعالى تفصيليا في كتابه و انما هي من اراء السلف و الخلف مثل الحض على تدبر القرءان و تثويره و غير ذلك, أو أنه من الأفضل أن يختمه في كذا يوم و غير ذلك, و اما ان يوجد مبحث فقهي خاص لدارسة الفروض التي حدها الله تعالى للمسلم كما يفعلون مثلا في الصلوات الخمس او الوضوء او الحيض و النفاس, فمثل هذا المبحث غير موجود. و هذا من الملاحظات العجيبة. فبالرغم من كل هذه الموسوعات الفقهية لا يوجد مبحث ثابت اسمه مثلا "دراسة القرءان, أو تلاوة القرءان" و ما أشبه كما يوجد مبحث ثابت في كل الموسوعات الفقهية اسمه "كتاب الطهارة" او " كتاب الديات" وغير ذلك. لماذا لا يوجد مثل هذا المبحث؟ و قبل ذلك ما هي المفردة القرءانية التي تتعامل مع هذه المسألة- اي مسألة تعاطي المسلم مع القرءان و دراسته؟ لا اجابة على هذا التساؤل عند الفرق الاسلامية منذ القدم الى يومنا هذا.

و ثانيا, كون دراسة كتاب الله تعالى و تعليمه (الاستقبال و العطاء) هو المحور الأكبر و العمل الأجل في هذا الدين, كما أثبتناه في هذا الكتاب و غيره من كتبنا, فان المتوقع أن يكون له مصطلح خاص به.

و ثالثا, الاجابة الوحيدة الممكنة هي كلمة "الصلوة". فكل ما يقال عن الصلوة انما هو لتنظيم ووضع تصور قرءاني للعلاقة الاتم و الاحسن بين الانسان و كتاب الله تعالى. و هذا يكشف لنا لماذا لا يوجد مبحث خاص مثل هذا في موسوعات الفقهاء و كتبهم, لانهم سرقوا كلمة "الصلوة" و فرضوا عليها معنى غير المعنى القرءاني لها. و بالتالي لا معنى للبحث في هذه المسألة قرءانيا, لان الكلمة الدالة عليها قد تم طمسها و القاءها في غيابت الجب و بلعها من حوت موسوعاتهم و ترداددهم الكثير للمعنى الذي فرضوه على المعنى القرءاني. و كل ما ندعو اليه من يرغب في معرفة أمر الصلوة من الله تعالى رب الصلوة و الدين نفسه أن يقوم بالعمل التالي: لا تلتزم بأي كلمة ذكرتها أنا في هذا الكتاب ان شئت, و لكن قم أنت بنفسك بهذا البحث, خذ كتاب الله تعالى, و اجمع كل ما له علاقة بكلمة "الصلوة" في كتابه العزيز المفصل تفصيلا, ثم ادرس هذه الايات بدون أن ترجع الى أي مصدر روائي او فقهي, اللهم تكتفي بالمعاجم اللغوية عند الضرورة بشرط أن لا يكون المعنى الفقهي الاصطلاحي للصلاة هو الذي يكره صاحب المعجم, ثم ابحث معنى هذه الكلمة و أبعادها المختلفة في كتاب الله وحده و انظر الى أين تصل. ثم تفضل مشكورا بنشر حصيلة بحثك, و أنا أول من سيقرأ مثل هذا الكتاب ان شاء الله. فهذا الكتاب الذي بين يديك هو دراستي لهذا الموضوع و ما فتحه ربي لي. فمن قبل ما ذكرته فبها و نعمت, و من رفض فيا ليته يكتب بحثا قرءاني خالص في هذه المسألة ثم يقدمه لنا ننتفع به باذن الله.

المهم, نرجع الى بحثنا. فقلنا أن بحث علاقة المسلم بالقرءان تم تنظيمها تحت كلمة "الصلوة" في الكتاب العزيز. و في الباب القادم سأذكر ان شاء الله ما فتح لي في هذا المجال مما يناسب هذا الكتاب.

24 (ملاحظات و تأملات حول الصلوة في كتاب الله)

. بعد أن جمعت كل المواضع التي ذكرت فيها اقامة الصلوه في كتاب الله, وجدت أنه يوجد 9 أسماء نبوية و نورانية ذكرت حولها: ابرهيم, اسماعيل, شعيب , موسى , هارون, لقمان , زكريا , عيسى , و محمد. فابرهيم أول من ذكر الصلوة في القرءان. كما في قوله " رب اجعلني مقيم الصلوة و من ذريتي ربنا و تقبل دعاء ". و الملاحظ أيضا أن ابرهيم أول من تنزل عليه صحف من الله. كما في سورة الأعلى "صحف ابرهيم". و لا يوجد ذكر قبل ذلك لاي كتاب أو صحف منزلة. فما العلاقة اذن بين كون ابرهيم أول من تنزل عليه صحف, و بين أن يكون ابرهيم أو من يذكر اقامة الصلوة ؟ الجواب واضح في ضوء رؤيتنا: لان اقامة الصلوة هي دراسة الصحف و تعليمها للناس.

فأول من نزلت عليه صحف من المتوقع أن يكون أول من يستعين بالله على اقامة الصلوة. فهذا الأمر متوقع في ضوء نظريتنا. و أما بدون نظريتنا فلا يوجد اجابة مقبولة لهذا الارتباط. فان قيل أن الصلوة هي صفة ظاهرية مخصوصة علمها الله لابرهيم (التاريخي في نظرهم) فانه من المفترض أن يكون كل الانبياء حتى قبل ابرهيم أن يدعو الله لذلك, فان المفترض حسب مبانهيم أن الحياة خلقت للعبادة و الصلاة أظهر مظاهر العبادة, و لا خير في دين لا صلاة فيه , فهذا يعني أن كل نبي كانت عنده صلاة, و بالتالي يجب على كل نبي أن يستعين بالله على القيام بها. و هذا غير متحقق في ءادم و نوح مثلا. و ان قيل أن الصلوة هي الدعاء مطلقا فان هذا مخالف لنص القرءان الذي فرق بين الصلوة و الدعاء كما بينا في فصول سابقة, فضلا عن انه لا يفسر الارتباط بين كون ابرهيم أول من تنزلت عليه صحف و كونه أول من دعا الله أن يجعله مقيم الصلوة. و هكذا اذهب و افحص كل الاحتمالات و لن تجد اجابة شاملة وافية الا في ضوء النظرية التي ذكرناها. و الحمد لله.

و أرى أن دراسة هؤلاء الأسماء النبوية التسعة يمكن ان يكشف أبعادا عظيمة و عميقة في موضوع الصلوة فلعلنا نوفق لذلك في يوم ما, أو لعل أحد الساعين الى الخير يسبقنا الى ذلك و له الشكر. فهذا موضوع مهم لم يعطى حقه بل لم يلتفت اليه على مدى قرون, اي العلاقة بين هؤلاء التسعة و بين اقامة الصلوة.

....

. وجدت أن أهم آية تنظم وقت الصلوة – و ان اعتبرناها ظاهرية كمجرد وسيلة للارشاد ووضع حدود لمن يريد حدود تنظيمية – هي قوله تعالى " أقم الصلوة : لدلوك الشمس الى غسق الليل و قرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا. و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى ربك أن يبعثك مقاما محمودا ". تعالوا ننظر.

ذكرت الصلوة مقرونة بوقت مرتين, مرة مقرونة بالعشاء و مرة بالفجر. أي قوله "صلوة العشاء..و صلوة الفجر". و في الاية التي بدأنا منها يقول " و من الليل فتهجد به نافلة لك ". فاذن نخلص من هذا الى وجود نوعين من الصلوة يمكن ان نسميهم: الصلوة الأصلية, و صلوة النافلة. أما الاصلية فهي صلوة العشاء و صلوة الفجر و قد سماهم الله تعالى بصريح القرءان. و أما النافلة فقد سماها الله تعالى أيضا و فصلها في سورة كاملة و هي سورة المزمل.

يقول " لدلوك الشمس الى غسق الليل" هذا وقت واحد. و هو صلوة العشاء.

و يقول "و قرءان الفجر" هذا وقت واحد أخر. و هو صلوة الفجر.

و اما تهجد النافلة فهو في قوله " ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه...علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ..فاقرءوا ما تيسر من القرءان ". و بقية التفاصيل في السورة المباركة.

يمكن أن تعتبر هذه الاوقات ظاهرية من حيثيتين: الاولى اعتبارها اوقات بحسب وقت شبه الجزيرة العربية التي نزل على قلب ساكنها القرءان فنزل بما يناسب ارشاده عليه السلام. و بالتالي يكون تقدير مدة هذه الاوقات بالساعات ثم نشر هذه الاوقات المقدرة بالساعات على كل المسلمين لكي يسترشد بها من يحب, فهذا معقول بشرط أن يكون كمجرد ارشاد لمن يحب أن يسترشد. و الثانية, كون الله ذكر صعوبة تقدير الوقت في الليل – كما في النافلة- لعل فيه اشارة الى واقع نعرفه كلنا و هو أنه في النهار يمكن معرفة تغير الاوقات بمراقبة حركة الشمس فيمكن مثلا تقدير و احصاء "لدلوك الشمس الى غسق الليل" فيبدأ الدلوك من بداية الزوال و ينتهي عند غسق الليل و هو شدة ظلمته, و كذلك يمكن تقدير و احطاء "الفجر" فيكون مثلا كالصيام "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر". و لكن في الليل لا يمكن القيام بأي تقدير أو احصاء كهذا- في تلك القرون الماضية على الاقل حيث لم توجد ساعات لتقدير هذا الامر, و لعل هذا من أسرار ذكر الله ل "ثلثي الليل و نصفه و ثلثه" بالرغم من أنه لا يمكن أن يعمل بها الناس في ذلك الزمان, اللهم الا بتكلف شديد جدا جدا كأن يخترعوا ساعة رملية مثلا ثم يقدروا كم مرة اضطروا أن يقلبوها حتى يمر الليل كله ثم يقسموا هذا الى اثلاث و انصاف, ثم يجب أن يغيروا كل هذا عندما تتغير فصول السنة, و أحسب ان المشقة و العسر الذي يقارب المستحيل قد ظهر خاصة لأهل زمن مولانا محمد بن عبد الله عليه السلام. فمن هنا تخفيف الله و تيسيره عليهم فان الله لا يريد بنا العسر و لكن اليسر كما هو معلوم و لله الحمد. و أما من يريد أن يشمّر عن ساعد الجد و الاجتهاد و الفتوة و الرياضة الروحية العميقة و الدراسة المقدسة في هذا الزمان فانه يستطيع أن يستعمل الساعات لتقدير هذه الانصاف و الاثلاث التي ذكرها الله و يقوم بها بحسب ما يستطيع و يرغب.

بعد طول تأمل في هذه الايات وصلت الى النتيجة التالية: الله يرشدنا الى ان ننفق كل وقت فراغنا الممكن في دراسة القرءان و تعليمه. فبعد العمل للمعيشة و تأمين شؤون المنزل و الحياة الظاهرية, فباقي الوقت كلما كان في دراسة كتابه و تعليمه و ذكره, كلما كان الانسان أرفع درجة عنده. من هذه الحيثية طبعا. "فاذا فرغت فانصب و الى ربك فارغب".

تأمل في هذه الاية "يسألونك عن الخمر و الميسر قل فيهما اثم كبير و منافع للناس و اثمهما أكبر من نفعهما و يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايت لعلكم تتفكرون". ما العلاقة بين ذكر انفاق العفو, و هو ما فضل عن الحاجة و زاد عنها, و بين ذكر الخمر و الميسر و كونهما ضررا راجحا؟

الجواب عندي هو أنه أعطانا الله هنا معيارا نقيس به "العفو". فلو سألنا الله : أمرتنا أن ننفق العفو, فما هو العفو؟ فالزيادة عن الحاجة تختلف من شخص لشخص, فضلا عن أن تعريف "الحاجة" محل خلاف, فكيف نعرف أننا الان قد كفينا حاجتنا و باقي مالنا هو عفو زائد؟ سنعرف الاجابة عن هذا السؤال اذا تأملنا في المسألة الاخرى التي ذكرها الله في نفس الاية المباركة. اي الخمر و الميسر و هما مثال على الضرر الراجح. فالمعيار هو التالي: اذا

رأيت أنك ستنفق مالك في شراء شئ يضرك فعندها اعلم أن هذا المال من العفو الزائد عن حاجتك. مع العلم أيضا أنه وضع قيد اخر على الاموال و هو عدم الكنز و غير ذلك و لا أريد أن أبحث هذه المسألة هنا. و انما ذكرت معيار العفو هنا لانه مهم في هذا المقام. و العبرة هي التالي: اذا وجدت نفسك تنفق وقتك في ما يضرك أو ما لا ينفعك و لا يضرك و انما هو مجرد "قتل للوقت" كما هي التسمية الدارجة, فاعرف أن انفاق هذا الوقت في ذكر الله و دراسة القرءان أولى. و هو من وقت الفراغ الذي يقضيه النبي في التوجه الخاص الى ربه. فالعفو فائض المال و فائض الوقت, و هل المال الا تقييم لجهد و وقت. فكما أن فائض مالنا علينا أن ننفقه في الخير بدل الضر, كذلك فائض وقتنا علينا أن ننفقه في الذكر و الفكر بدل اللهو و اللعب بالمعنى السئ لهما.

و قد قدرت ساعات الصلوة التامة القصوى, العشاء و الفجر و النافلة في حدها الاقصا, و وصلت الى نتيجة مفادها التالي : 17 ساعة. فمن كان 17 ساعة من يومه في دراسة القرءان و و تدريسه فهذا ستأتي الملائكة و تتلمذ على يديه. فهذا مثل أعلى للدارسين المتألهين. و انما الرجال بحسب جهادهم.

و هنا ملاحظة هامة: و هي أن الصلوات الخمس أوقاتها تتخلل وقت "صلوة العشاء" اي لدلوك الشمس الى غسق الليل, و وقت "صلوة الفجر". فمن صلاة الظهر يبدأ "لدلوك الشمس" ثم بعد بضع ساعات تأتي صلاة العصر, ثم بعد بضع ساعات تأتي صلاة المغرب, ثم صلاة العشاء, و عندها تكون قد تمت "صلوة العشاء" بحسب التحديد القرءاني. و أما تهجد النافلة فلا توجد فيه فرائض و انما سنن كما هو معلوم, ثم يأتي وقت "صلوة الفجر" بحسب التحديد القرءاني و فيه وقت صلاة الفجر بحسب الطريقة المحمدية. ما السر؟ كما قلنا ان الصلوات الخمس طريقة في الذكر, و الصلوة القرءانية للفكر, و يجب أن تتخلل الفكر فترات راحة و استراحة, فهل تتصور عقلا يستطيع أن يفكر ثماني ساعات متصلة كل يوم مثلا و لا يصاب بورم سرطاني بعد بضع سنين! و لكن الصلوات الخمسة هي راحة روحية و جسمانية تتخلل فترات الدراسة القرءانية في صورتها الكاملة. و من هنا لم يرسم الله صورة جسمانية لاقامة الصلوة, لان أمور الفكر باطنية و أي فرق أن تفكر و أن قائم على رجليك أو انت متكئ على أريكتك. لا فرق حقيقي اللهم ما يناسب حال كل فرد و ما يريحه في هذا الشأن. و لاحظ أيضا أن الصلوات الخمس فيها الحمد, فاذا نظرت في الاوقات التي أمرنا الله أن نسبح فيها بحمده فستجد أنها مغطاة بالصلوات الخمس و أوقاتها المعروفة. فيظهر أن الصلوات الخمس هي الطريقة المحمدية الجامعة بين الذكر و الفكر. فضلا عن قيمتها الاشراقية السماعية و الفاتحة لابواب السموات. و لعل هذا هو سر ما يروى عن مولانا محمد عليه السلام انه كان يقول "أرحنا بها يا بلال". هذا ما أخبره شخصيا في هذا المجال. فانظر ماذا ترى.

....

. لاحظ انه يوجد خمس صور للعبادة الخاصة- اذ العبادة العامة هي كل عمل تم بنية خير, و الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره, و هذه الصور الخمسة هي: ذكر الله, و اقامة الصلوة, التسبيح بحمد ربك, الدعاء, الاستغفار.

أما ذكر الله فجعله مطلقا و لم يعين له لا وقت ظاهري و لا باطني, بل اطلقه بقول "و اذكروا الله ذكرا كثيرا". بل حتى في مواضع الخوف و عدم الاطمئنان أمر بذكر الله .

و أما اقامة الصلوة, فجعلها محدودة, و عينها لها وقتا باطنيا و هو تاويل تلك الرموز, و يمكن اعتبار أنه عين لها وقتا ظاهرا كما ذكرنا. و منعها في مواضع و جوز قصرها كما في ايات الخوف من فتنة الكفار.

و أما التسبيح بحمد ربك فجعله محدودا مؤقتا, و الاوقات فيه خمسة: قبل طلوع الشمس, قبل غروبها, من اناء الليل, أطراف النهار, أدبار السجود. و أحيانا الحد موضوعي مثل بعد مشاهدة نصر الله و الفتح كما في سورة النصر المباركة.

و أما الدعاء فجعله مطلقا, "قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم" فليدع الانسان بقدر ما يريد الله أن يعبأ به.

و أما الاستغفار فحدده, بالموضوع من حيث أنه بعد الذنوب, و بالوقت كالسحر. "و المسغفرين بالاسحار".

فنرى أن بعض هذه الامور مطلق تماما, و بعضها مقيد بوقت و بعضها مقيد بحدوث موضوع. و بعضها خليط من ذلك. فان اعتبرنا أن أعلى عبادة هي التي لا يحدها وقت و لا موضوع, فعندها سنجد ان ذكر الله و الدعاء هما أعلى العبادات. فهما العبادة المطلقة التي لا يحدها الا العابد نفسه و ما يفتح له ربه.و ذكر الله مجرد, و الدعاء مجرد, بمعنى انه مع الانسان أينما كان, و جوهره ثابت بنفس وجود الانسان. فالذكر و الدعاء يمكن اعتبارهما القاعدة المشتركة بين العباد مهما اختلف مناهجهم و مشاربهم. و أما الاستغفار فمشروط بوقوع الذنب و الوقوع في الذنب ليس أمرا مرغوبا في الدين كأصل, فالاستغفار عبادة مدفوعة بظلمة. و لعل هذا هو سر كونها في وقت "السحر" كأفضل أوقاتها, لان السحر هو شدة ظلمة الليل, فكأن الله يقول له: ذنوبك ستجعل قلبك بنفس سواد هذا الليل فاستغفر حتى أشرق شمس رحمتي عليك مرة أخرى. و أما التسبيح بحمد ربنا فلاحظ انه و اقامة الصلوة بينها كثير من الاوقات المشتركة و هما فقط قد فصل الكتاب فيهما من حيث الأوقات, فما الرابط بين دراسة القرءان و تعليمه و بين التسبيح بحمد الرب؟ لهذا درجات كثيرة في الاجابة عنه, كما هو القرءان كله بل الوجود كله عموما, و لعل أحد الأسباب هو أننا نحمد الله على نعمة القرءان و فروعها. فمن صحيفة الحمد المطهرة – و التي ذكرناها في فصل سابق- نرى أن الحمد في القرءان ذكر اما على الخلق و اما على الامر. على الخلق مثل "الحمد لله الذي خلق السموات و الارض" و على الأمر مثل "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا". و سبب أخر هو أن دراسة القرءان و تعليمه هو "فعل" الحمد. اي ان العمل بمقتضى حمد الله و شكر نعمته هو ان ندرس كتابه و ننشره. فيوجد حمد بالقول و حمد بالفعل. و دراسة القرءان هي حمد بالفعل. فهل يعقل أن نقول "الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب" و نحن نهجر الكتاب و نلقيه وراء ظهورنا و نشتري به ثمنا قليلا ! هذا أسلوب الشعراء في الحياة و ليس أسلوب الأنبياء و العلماء. و الشعر المذموم في القرءان ليس أسلوب كلام و انما أسلوب حياة.

القيام بدراسات تفصيلية قرءانية عميقة حول هذه الصور الخمسة للعبادة الخاصة هو أمر مهم جدا لاثراء الخزينة الاسلامية.

25 (تفصيل الله في مسألة الذكر و الدعاء)

ان الله تعالى قد فصّل لنا كيفية ذكره بأدق تفصيل ممكن و أكمله. كما هو الأصل المقرر في المعرفة القرءانية و هو أن الكتاب العزيز فيه "تفصيل كل شئ".

و من الايات التي تفصّل كيفية ذكر الله- اذا أخذناها على ظاهرها- هي اية "الذين يذكرون الله قيما و قعودا و على جنوبهم"و اية "حفظوا على الصلوت و الصلوة الوسطى و قوموا لله قنتين. فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا أمنتم

فاذكروا الله كما علّمكم ما لم تكونوا تعلمون". و اية "فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة". و اية "و اذا مس الانسن ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما". فتعالوا ننظر.

يوجد للانسان حالتين: اما ان يكون مستقر في موضع واحد, او متحرك من موضع الى موضع. اي اما مستقر و اما متحرك. و هذا بدهي. و الله قد فصّل لنا و بيّن أن الأصل في ذكره أن يكون في حالة الاستقرار, و الاستثناء أن يكون في حالة الحركة. فبين الأصل في قوله "الذين يذكرون الله قيما و قعودا و على جنوبهم". ثم بيّن الاستثناء في قوله "فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم". و قد ذكر حالتين لاكتمال الذكر في حالة الاستقرار, و هما: الأمن و الطمأنينة. "فاذا أمنتم" و "فاذا اطمأننتم". و في حالة الاستقرار ذكر ثلاث كيفيات "قيما و قعودا و على جنوبهم". و أما الحكم و الأسرار وراء هذا الترتيب في ذكر القيام قبل القعود ثم على الجنوب فلعلنا نشير الى شئ منه بعد قليل ان شاء الله. و في حالة الحركة ذكر كيفيتين "فرجالا او ركبانا" و أصلا لا يوجد في حالة الحركة الا احدى هاتين الكيفيتين, فاما ان يكون الانسان مترجلا أي يتحرك اعتمادا على جسمه فقط, و اما ان يكون راكبا على شئ أيا كان هذا الشئ أي يتحرك اعتمادا على جسم اخر, و قد شرع الله لنا الذكر في كلتا الحالتين. فاذن عندما نسأل الله: رب كيف نذكرك؟ تأتي الاجابة المفصلة: قيما و قعودا و على جنوبكم, فان خفتم فرجالا او ركبانا.

مكتوب " فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون". و هنا مسألة تلتف النظر: هل قوله "فاذكروا الله كما علمكم" منفصل عن "ما لم تكونوا تعلمون" ام لا؟ لانه لو كانت جملة "فاذكروا الله كما علمكم" كاملة, فهذا يدل على ان الله هو الذي علمنا كيف نذكره, و بالتالي أي تعليم اخر في كيفية ذكره يكون تعليما في مقابل أمر الله و تعليمه, و هو على حد الشرك و اتخاذ الانداد من دون الله كما لا يخفى على أولي البصيرة. فهل هذا هو المقصود؟ الاجابة الظاهرة هي : نعم. و يدل عليها أمور, منها أن الله تعالى فعلا قد علمنا كيف نذكره, كما بيّنّا قبل قليل. و ثانيا, أنه يوجد فرق بين أن يقول "فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون" و بين ان يقول: فاذكروا الله على ما علمكم ما لك تكونوا تعلمون. في الصيغة الثانية يكون المقصود هو ذكر الله كنوع من الشكر له على نعمة تعليمه لنا ما لم نكن نعلم. و لكن في الصيغة الاولى, و هي الصيغة التي وردت في القرءان, فالمعنى هو الذي ذكرناه قبل قليل, أي ان الله تعالى يرشدنا الى ذكره كما علّمنا. و القرءان نفسه قد فرّق بين الصيغتين. فمثلا, عندما يريد أن يرشدنا الى ذكر الله "على" نعمه, فانه يستعمل صيغة "على" و ليس "كما". كما في قوله في سورة الحج "و يذكروا اسم الله في أيام معلومت على ما رزقهم من بهيمة الانعم", و أيضا "لكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعم", و أيضا " لتكبروا الله على ما هداكم". لاحظ أنه في ثلاث ايات ذكر صيغة ذكر الله و تكبيره "على" كذا و كذا. و أما في اية سورة البقرة التي نحن بصددها الان فانه لا يستعمل هذه الصيغة و لكنه يقول "فاذكروا الله كما علمكم". و بالتالي, يكون قوله "ما لم تكونوا تعلمون" هو من باب التيسير و الرخصة لمن لا يعلم تعليم الله في كيفية ذكره و تفصيل ذلك. و هذا طبيعي لان الله لا يكلف نفسها الا ما اتاها. و لا تكليف قبل العلم. فالأصل هو "فاذكروا الله كما علمكم". و الاستثناء لمن بذل جهده و لم يعلم "ما لم تكونوا تعلمون" اي ما لم تكونوا تعلمون فاذكروه بأي كيفية تكون أجلب للطمأنينة لقلوبكم, لان

الأصل في ذكر الله أن يكون سببا لطمأنينة القلب "ألا بذكر الله تطمئن القلوب" و ما الشكليات الا أمور ثانوية فرعية.

و أما في الدعاء فعلمنا أيضا كيفية, و ان كان الدعاء يدخل في عموم الذكر, و لكن ما يلفت النظر هو أنه كتب عن الدعاء بترتيب عكس ترتيب الذكر, فكتب "دعانا لجنبه او قاعدا او قائما". و نستنبط من هذا أمور: منها أن الدعاء جائز في هذه الكيفيات الثلاث. و نلاحظ انه في الدعاء قال "أو" و لكن في الذكر قال "و". ما الفرق؟ "و" تدل على امكانية الجمع, و اما "أو" فتدل على اختيار شئ دون الاخر. كما في الكفارة عندما يقول "أو" فيخيّر بين عمل أو اخر. و لكن في "و" يمكن ان يجمع بين الكل كما نقول: اكتب قصة و استمع الى غناء الطيور. فانك تستطيع أن تكتب القصة أثناء سماعك الى غناء الطيور. و لكن اذا أخذنا الاية على ظاهرها, فانه من الواضح أنه لا يمكن أن تذكر الله و انت قائم و قاعد في نفس الوقت. فيكون المعنى الارجح هو ان تذكره قائما, فان تعبت فاقعد و اذكره قاعدا, فان تعبت فتمدد على جنبك و اذكره و أنت على جنبك. اذ ان الله لا يكلف أحد الا بحسب طاقته. فيكون من الطبيعي ان الانسان كلما كانت طاقته أكثر كلما كان تكليفه أكبر. فينفق الانسان طاقته في العمل لله. و لهذا اويتنا الطاقة أصلا, "ليبلوكم في ما اتاكم" "ليبلوكم أيكم أحسن عملا" "أنفقوا مما رزقنكم". و نلاحظ العكس في الدعاء, فكما عرفنا في الفصول السابقة فان الدعاء المفترض في الأصل ان يكون فقط عندما يشعر الانسان بالعجز تماما عن العمل بما عنده من طاقة و امكانات و حيل, و لكن أحيانا يكون الانسان يرغب في أن يعمل عملا لا طاقة حاضرة له به, او يكون مكلفا من الله بعمل يفترض انه عليه أيضا ان يحصّل طاقة للعمل به. و لهذا بدأ ذكر الدعاء بحالة "دعانا لجنبه" فعندها تكون طاقة الانسان في أقل مستوياتها. ثم بعد المدد "أو قاعدا أو قائما". و من الناس من يكون قد بلغ في ادراك فقره الى الله الى حد أنه لا يرى لنفسه طاقة للعمل الا بامداد الله, و ان كان في الواقع يملك طاقة كافية للعمل, و لكن نفسيته لا تقبل العمل الا بعد ان تدعو الله و تستمد منه مدد العناية و التوفيق و التوكل. مثلا, كانسان سليم الجسم و نشيط يرغب في أن يجري في سباق. فمن حيث الطاقة الجسمانية فانه يستطيع ان يجري فورا, و فعلا من لا يؤمن بالله يجري فور أن يسمع صوت الصافرة, و لكن قد يكون الانسان المؤمن العارف يملك نفس طاقة ذاك الكافر او الضال, نفس الطاقة من حيث الجسم, و لكن مع ذلك فانه لا يجد في قلبه دافعا للجري الا ان دعا الله و استمد منه مددا اضافيا. و لذلك- و لغيره- لم يقل "دعانا لجنبه و قاعدا و قائما". فالالتجاء الى الله في الدعاء يكون- من حيث الجوهر و اللب- بحسب ادراك الانسان لفقره الى الله. فمن الناس من اذا وجد طاقة في جسمه على العمل قام و عمل فورا بدون أن يلتفت الى الدعاء و الله. و هذا لا بأس به اذ ان الله قد أمده فعلا فلا حاجة من هذه الحيثية للدعاء كما بيّنا في الفصول السابقة. و من الناس من يجد طاقة في عقله على التفكير, فيبدأ في الكتابة او التأمل في المسائل العلمية و النظرية او يبدأ في التأليف الموسيقي او الرسم او التخطيط و نحو ذلك من أمور العقل و الخيال, و يقوم بذلك بدون أن يلتفت الى الله و الدعاء, فطالما انه يجد طاقة في نفسه فانه ينفقها فورا. و بالمناسبة حتى لو كان الشخص "ملحدا" فانه في الجوهر مؤمن بالله من حيث التجريد و الفطرة. فعمله بالطاقة المتوفرة فيه هو عمل بأمر الله القائل "و أنفقوا" أمر الله الوجودي التكويني, و ليس الشرعي التدويني. و لكن من الناس- و هم العرفاء الفقراء الواعين لفقرهم- حتى لو كانوا يملكون أعظم طاقة جسمانية و أعظم طاقة عقلية روحية, فانهم دائما يجدون أنفسهم و قلوبهم مدفوعة الى دعاء الله و الاستمداد منه, و لذلك قال "أو قائما".

و لكن لماذا لم يذكر مشروعية الدعاء في حال الحركة- رجالا او ركبانا- كما شرع في الذكر؟ يظهر لي أنه يرجع الى حكمة في منفعة الدعاء. فلاحظ ان الدعاء يكون في حال الاستقرار و ليس الحركة. لان جوهر الدعاء هو استمداد طاقة للعمل. و العمل هو الحركة. فان كان الانسان يتحرك فلا حاجة للدعاء أصلا. لان ثمرة الدعاء تكون قد تحققت. كمن يرغب في أن يسافر من بلدة أ الى بلدة ب. فانه ان كان جاهلا بالطريق مثلا, فانه يقف و يسأل الناس, فان عرف الطريق و بدأ في التحرك, فانه لا يحتاج أن يطلب من أحد أن يهديه. كذلك في الدعاء, فانه طلب من الله ان يهدي الانسان لشئ او يمده بشئ لكي يستطيع أن يتم شيئا ما. فان هدى الله و أمد فان ثمرة الدعاء تكون قد أينعتو نضجت و لم يبق على القابل الا الأكل.

.....

نذكر مرة أخرى مسألة الصلوات الخمس هذه المتعارف عليها بين أهل الاسلام, و نذكر في نفس السياق أي طقس ديني ينسب الى أي طائفة من الناس على العموم.

مما تتكون هذه الصلاة؟ تتكون من: حركات جسمانية, تلاوة ايات قرانية, تسبيحات و تحميدات و تهليلات و استغفارات و تكبيرات, دعاء, تشهد, تسليم على النبي و على الصالحين و على الملائكة عند البعض.

أما الحركات الجسمانية فقد فرغنا من ذكر ما يتعلق بها, و قد ذكرنا الحركات الجسمانية التي يمكن اعتبارها اذا أخذنا ايات القرءان على ظاهرها في مسألة الذكر. و تلاوة القرءان داخلة في عموم الذكر. و كذلك التسبيح و التهليل و تكبير, فكله من باب الذكر. و أما الدعاء و الاستغفار- الذي هو نوع من الدعاء- فقد ذكرنا أيضا الحركات بشأنه لمن يحب التقيد بحركات معينة لسبب او لاخر. و أما التشهد و التسليم على النبي و الصالحين و الملائكة فبغض النظر عن النقد الذي يمكن أن يوجه, فلا بأس, لنتركها الان, و يستطيع أن يسلّم أي أحد على من يشاء بدون الحاجة للتقيد باغلال جسمانية معينة. فمن الجائز أن يقف الانسان على قدميه و يقول "السلام عليك أيها النبي" و ما نحو ذلك, و لا أظن ان الملائكة سترد هذا السلام على صاحبه لانه لم يكن قاعدا على ركبيته !

فاذن الله تعالى قد فصّل لنا كيفية ذكره, و كيفية دعاءه, "فاذكروا الله كما علمّكم" و لا تتخذوا من دون الله اندادا تحبونهم كحب الله. و الذين ءامنوا أشد حبا لله. و الحمد لله رب العالمين.

26 (من روايات بعض الاحزاب)

جاء في الروايه التي يسمونها روايه الاسراء ان الله تعالى فرض اول ما فرض 50 صلاه ، ثم راجعه النبي حتى جعلها خمس صلوات . (و ان كانت الروايه تقول ان الله بعد اول مراجعه وضع "شطر" الخمسين -يعني بقي 25 صلاه مفروضه. ثم تزعم الروايه الغافله ان الله بعد ان راجعه النبي وضع "شطر" هذا الباقي، و هذا يعني ان

الصلوات المفروضه اصبحت 12 و نصف صلاه ! و لا ادري كيف تصلى نصف صلاه ! على ايه حال ليس هذا موضوعنا - و بالمناسبه هذه روايه في الكتاب المسمى بصحيح البخاري في بدايه كتاب الصلاه).

و جاء في روايه أخرى و هي روايه مشهوره جدا ، يقول فيها النبي على لسان الله تعالى "قسمت الصلاه بيني و بين عبدي نصفين و لعبدي ما سأل " ثم يبين ان النصف الاول هو من البسمله الى قوله "اياك نعبد و اياك نستعين". ثم النصف الثاني هو من "اهدنا الصرط المستقيم" الى نهايه سوره الفاتحه المباركه.

و لنا نظره في هذا ، و هو نظر ظاهر على الروايه و لكن لم يدقق القوم فيها . و هي تبين ان الصلاه هي الدعاء بسوره الفاتحه . فروايه قسمه الصلاه تقول " قسمت الصلاه بيني و بين عبدي نصفين " و هذا يعني ان الصلاه هي تلاوه سوره الفاتحه . و هذا لا يحتاج الى تدقيق.

و بهذا الفهم يمكن فهم ما معنى ان تفرض 50 صلاه . فتلاوه سوره الفاتحه مره واحده يأخذ على الأكثر دقيقه ، هذا مع التريث و الترتيل و اخراج كل حرف من مخرجه و احضار المعنى في كل كلمه. و بالتالي تكون تلاوه الفاتحه 50 مره يأخذ 50 دقيقه ، و اذا قلنا بان ما يسمونه وضوء ياخذ دقيقتين ، و فرضنا الوضوء خمسه مرات في اليوم ، فالصلوات كلها تاخذ نحو ساعه من اليوم المكون من اربع و عشرين ساعه. و اذا حسبت الوقت الذي يقضيه الاحزاب في الصلوات الخمسه يوميا من اذان و اقامه و قيام بها ثم الاذكار بعد ذلك و الحواشي التي تحيط بذلك كله لوجدته يفوق الساعه بكثير، و لعله يبلغ نحو ساعتين و نصف في المتوسط.

و هذا احسن فهم لهذه الروايات من حيث الدقه و من حيث الرحمه و من حيث اليسر في التطبيق - على فرض الصحه طبعا.

27 (سلّم الى باب الجنة)

يقول الله تعالى " و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس : لهم قلوب لا يفقهون بها, و لهم أعين لا يبصرون بها, و لهم ءاذان لا يسمعون بها, اولئك كالانعم بل هم أضل أولئك هم الغافلون "

ان كان من لا يفقه و لا يبصر و لا يسمع مكتوب في جهنم, فان هذا يعني أن من يفقه و يبصر و يسمع مكتوب في الجنة. و بما أنه لا يتصور أن يفقه انسان و لا يؤدي ذلك الى أن يبصر, أو يبصر و لكنه لا يسمع, أي في حال أنه التزم و أكمل السير الى الحق تعالى, فان هذا يعني أنه للجنة سلّم له ثلاث درجات: الفقه و الابصار و السماع. كل ما يؤدي الى ايجاد الفقه و الابصار و السماع فهو طريق الى الجنة, أيا كانت صورته و صفته, و أيا ما كان حائلا بين الانسان و بين الفقه و الابصار و السماع فهو من الشيطان و قطاع الطرق الى الحق. و تختلف درجة و قيمة أي عمل ديني و انساني بحسب مقدار الفقه الذي يولده و يكشفه للانسان.

هذه الاية المباركة تكفي لاستنباط ألف مسألة منها, و انها فعلا خلاصة الخلاصة للكثير جدا من الأمور. و نريد هنا أن نشير اشارة سريعة الى بعض المسائل المهمة المستنبطة من هذه الاية المباركة, فتعالوا ننظر.

أولا, الاية تقرر بأن كل الجن و الانس لهم قلوب و أعين و ءاذان. هذا أمر مفروغ منه تكوينيا. و بما أن النجاة من جهنم على كل المستويات و الارتفاع في درجات القرب من الله محصورة بالايمان و العلم "يرفع الله الذين ءامنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات" بكل معاني و مستويات و مقتضيات الايمان و العلم, فان هذا يعني أن كل أفراد الجن و الانس متساوون من هذه الحيثية الجوهرية. فالمساوة الدينية حق من حيث أن أعضاء المعرفة الدينية متواجدة في الكل. و لكن الفرق بين الناس يرجع الى معيار اخر ثانوي فرعي.

ثانيا, القلوب و الاعين و الاذان المذكورة في الاية ليس المقصود بها هذه القلوب و الاعين و الاذان الموجودة في الجسم البشري. فانه حتى أعتى الكفار يفقه بدماغه و يرى الصور و الالوان بعينيه و يسمع الاصوات باذنيه. فليس هذا المقصود السطحي البشري هو المعنى. بل المقصود هو القلب و العين و الاذن الباطنية الروحانية. المنفتحة على عوالم الغيب و العلو و الملكوت. العين التي رآى بها ابرهيم ملكوت السموات و الارض, و ليس العين التي يرى بها فرعون ملكه المزعوم في مصر أسفل سافلين, العين التي رآى بها محمد الملك حين دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى و قال فيه الله "ما زاغ البصر و ما طغى". و الاذن المقصودة هي الاذن التي سمع بها موسى كلام الله تعالى, اذ لو كان الاذن الجسمانية هذه و كان تكلم الله معه بصوت جسماني لسمعه كل من في الاراضين السبع و ليس موسى فقط ! و كذلك مثلا حين حكم الحق بانه "انما يستجيب الذين يسمعون" فحيث ان الله لم يقيد يسمعون بماذا, وواضح أن المقصود هو يسمعون باذن الروح اذ حتى فرعون سمع كلام موسى و دعواه باذن جسمه و لكنه لم يستجيب, و حكم الله لا يتخلف و خبره حق, فاذن النتيجة هي أن الله لا يهتم من حيث المبدأ الا بالسماع الحقيقي و هو سماع الروح و هذا معنى أن "الله يقول الحق" و من قوله الحق أيضا هو حكمه بأنه "انها لا تعمى الابصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور" و مثل هذا كثير جدا في القرءان الحكيم بل ان القرءان كله قائم على ذلك. و القلب المقصود ليس قطعة اللحم هذه الموجودة في القفص الصدري البشري, بل هو القلب الذي تنزل عليه الروح الامين بكتاب الله رب العرش العظيم.

فاذن, يوجد قلب و عين و اذن أرضية جسمانية بشرية, و قلب و عين و اذن ملكوتية روحانية انسانية. الأول هو التراب, و الثاني هو الروح. "فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين".

و الذين قال فيهم الحق "و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس" هم الذين لهم قلب ملكوتي لم يفقهوا به حقائق الأمور, و لهم عين روحانية لم يروا بها الجواهر و الأسرار و الالباب, و لهم اذن انسانية لم يسمعوا بها كلام الله في كل مستويات العوالم من أعلاها الى أدناها.

لذلك عندما لم يستعملوا قواهم الروحية هذه, أصبحوا مجرد تراب, أي " أولئك كالأنعم " , و بما أن البهيمة لا تملك أصلا غير ما هي عليه, و الانسان يملك و لكنه لم يعمل به فانه لا يكون فقط كالانعم "بل هم أضل". و من الطبيعي بعد ذلك أن يكون مثل هذا البهيمة غافل عن الحقائق و بالتالي "أولئك هم الغافلون".

فان قلنا أن الروح لها ثلاثة أعضاء أساسية : القلب و العين و الاذن. و عمل القلب هو الفقه, و عمل العين الابصار, و عمل الاذن السماع, فان هذا يعني أن الدين من حيث المبدأ يأتي لهذه الأمور الثلاثة بالأساس و القصد الأولي, و ان اهتم بأعضاء الجسم و عمله فانما يهتم بها من أجل الروح و عمله, أي حتى ييسر عمل الروح, فالروح مقصد الشريعة ان شئت.

ثالثا, على اعتبار أن الصلاة هي سبب دخول الجنة, ففي ضوء ما سبق من تقريرات تكون للصلاة عند كل بني الانسان مراتب, و أعظم صلاة هي التي تكون سببا لأعظم فقه و ابصار و سماع روحاني. هذا هو معيار اختيارنا و حكمنا لا غير. فان وجدت صيغة معينة تؤدي الى مثل هذا بها و نعمت, و ان وجدت صيغتان تؤديان الى مثل هذا فان تساويا فالامر بالخيار بحسب ظروف و معايير أخرى و ان ترجحت احداهما فنأخذ بالأرجح, و قس على هذا. طبعا هذه قسمة منطقية بحتة يصعب أن تنطبق على واقع الأمور أو بالأحرى يصعب على غير من يمده الله بسبب من عنده أن يميز بدقة هذه المراتب, و لكن أحسب أن الأمر اتضح.

فالصلاة ليست عمل من الانسان الى الله, بل هي عمل من الانسان للانسان و الله يمده بسبب الصلاة كما يمد الجائع بسبب أكل الطعام. "من جاهد فانما يجاهد لنفسه" " من شكر فانما يشكر لنفسه" "من اهتدى فلنفسه". و الله يرضى عندما يرى الانسان يرتفع في سلّم الفقه. لأن الفقه (بالمعنى القرءاني طبعا و ليس بالمعنى الشائع -مع الأسف- الذي هبط بالفقه من أعلى عليين الى أسفل سافلين) هو الذي يحقق الخلافة في الانسان بالفعل بعد أن كانت بالقوة. (و للاختصار المبرر كما ذكرت من قبل, أعتبر أن كلمة فقه تجمع الابصار و السماع, و الا فان لكل واحدة منهم علوم و أسرار و تجليات خاصة بها)

رابعا, ما هو الفقه ؟ في اللسان العربي الفقه يدل على العلم بالشئ و الفهم له. و لكن في اللسان القرءاني فان للفقه أبعادا خاصة, و ان كانت تدور في فلك المعنى العربي عموما الا أن القرءان حينما يستعمل كلمة خاصة لو كانت من الكلمات المهمة و المحوري في الدين و الوجود فانه يشحنها بمعاني من عنده بحيث تؤدي دورها المطلوب. فالاصطلاح القرءاني مهم جدا, بل من لا يعلم المصطلح القرءاني فانه ليس من المبالغة اذا قلنا أنه من المحرفين للقرءان حتما. فانه يأخذ الكلمة بحسب العرف اللغوي البسيط أو بحسب العرف المذهبي المألوف و يحمل عليها القرءان و يعتبر أن هذا المعنى هو عين المعنى الذي قصده القرءان, و هذا تحريف بغير وعي. و من أمثلة ذلك كلمة

"الفقه" فانها حيث اطلقت انصرف الذهن العامي مباشرة الى الدين, و ليس كل الدين بل الجزء التشريعي الجسماني منه, و ليس كل الجزء التشريعي بل الجزء التطبيقي منه دون "أصول الفقه" التي تبحث في منهاج استنباط التشريع. فانظر الى التصغير الذي وقع: من الفقه العام الى فقه الدين, و من فقه الدين الى فقد التشريع, و من فقه التشريع الى فقه الجزء الجسماني التطبيقي منه. فاذا قيل "فلان فقيه" انصرف الذهن العامي الى الذي يعلم احكام القصاص و الحيض و النفاس و ما أشبه. بل انه بالاضافة الى كل ذلك التصغير الآثم, فان البعد الأخلاقي الروحاني من الفقيه بالمعنى القرءاني قد انمحق, حتى أنه لا بأس بأن يطلق اسم "فقيه" على من يعلم الأحكام التشريعية الأرضية حتى لو كان فاسقا أو ماديا ساقطا و ما أشبه, فعندها يقال "فقيه فاسق" ! و كأن الفقيه ممكن أن يكون فاسق ! و من أمثلة التحريف الذي يقع هو أن الأمر الرباني المشهور " ليتفقهوا في الدين " يحمل عند عموم الناس عند اطلاقه على : العلم بالأحكام التشريعية الجسمانية الشخصية و الدولية. (مع العلم أن حتى هذه "الشريعة" قد وقع تقزيم و تصغير لها, و لكن لهذا مبحث اخر).

فحتى لا نقع في هذه الحفرة, و حتى يكون وعينا بمعاني القرءان و أسراره واضحا, فانه ينبغي ان نقوم بدراسة معنى الفقه و الفقيه من القرءان. و ذلك بأن ننظر مبدئيا في كل الايات التي ورد فيها هذا الاسم و هذا الفعل, و نرى ما هي ظروفه و أبعاده و مراميه التي قصدها. و عندها فقط ممكن أن نعرف ما هو الفقه عند الله, و بالتالي نعرف من هو الفقيه فعلا. فنعطي كل ذي حق حقه, و لا نسرق اسم عالي و نضعه على صنف سافل من البشر. نسأل الله السلامة و العافية.

وردت كلمة الفقه بتصريفاتها 20 مرة في القرءان, ب 6 أشكال. تفقهون (1), نفقه (1), يفقهوا (1), يفقهون(13) , يفقهوه (3) , يتفقهوا (1) .

" تسبح له السموت السبع و الأرض و من فيهن, و ان من شئ الا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم, انه كان حليما غفورا" و الفقه هنا هو شهود حقيقة و كيفية تسبيح كل شئ في الوجود بحمد الله تعالى.

" قالوا يشعيب ما نفقه كثيرا مما تقول " و الفقه هنا هو فهم و ادراك و قبول كل التعاليم التي جاء بها النبي, و هي التعاليم التي تشمل كل شئ كما أن شعيب ذكر لهم من كل شئ من أمور العلوم و الأسباب الوجودية و الأخلاق العملية و الأحكام المالية و الاستقلال العقلي في التدبر و عدم التحجر الأعمى على ما جاء به الاباء و السلف و الوعي بسنت الاولين و الاتعاظ و الاعتبار بها و عدم تكرار أخطائهم.

" رب اشرح لي صدري و يسر لي أمري و احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي " و الفقه هنا هو القدرة على تبيين الأمور من قبل المتكلم للاخرين بحسب لسانهم و أحوالهم و مستوياتهم و بالتالي يثمر ان شاء الله أن يفهم الاخر ما يقوله المتكلم.

" فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية و قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب, قل متاع الدنيا قليل و الاخرة خير لمن اتقى و لا تظلمون فتيلا. أينما تكونوا يدرككم الموت و لو كنتم في بروج مشيدة, و ان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و ان تصبهم سيئة يقولوا هذه

من عندك, قل كل من عند الله, فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا " و الفقه هنا يشمل أمور: أن يعرف حق كل مرتبة من مراتب الكائنات يبني عمله على هذا الأساس, فمرتبة الله أعلى من مرتبة بعض الناس و بالتالي تقديم أمره على أمرهم و اهوائهم اولى, و من ذلك أيضا أن يعرف مرتبة الدنيا و الاخرة فيعطي الأولوية للأحق بالاهتمام. أن يدرك حقيقة تصرف و تدبير الله للعوالم كلها فيعرف الموازين و القسط القائم فيها و يدرك شئ من سر التقدير الالهي و أنه لا ظلم في العوالم من هذه الحيثية. الوعي بالموت و أنه حق و بناء الاحكام و الاختيارات على هذه الحقيقة. ادراك حقيقة صدور كل شئ من عند الله و رجوع كل شئ عليه, ادراكا عقليا و شهوديا فان مجرد حضور المعلومة في العقل لا يثمر شيئا بدون الشهادة الحية على الحقيقة المعينة. فالحديث هنا شامل للعلم و الحكم, أي العلم المطابق لنفس الأمر في الواقع على اختلاف مستوياته, كمثل "أينما تكونوا يدرككم الموت", و الحكم الذي هو الأنسب و الأسلم للانسان في مسيرته الى الخلود, كمثل "فلما كتب عليهم القتال". فحديث الله علم و حكم. و الحكم يبنى على العلم. العلم أولا و الحكم ثانيا, و من يفقه العلم حقا سيتبع الحكم فعلا, و الا فلا, بل حتى لو تبع الحكم ظاهريا بدون فقه العلم الذي هو مبدأه الأعلى فانه يعتبر في زمرة أهل النفاق, و كذلك من يفقه العلم و لا يتبع الحكم- و ان كان هذا لا يتصور فعلا اذا دققنا النظر على كل المستويات- و لكن على فرضه فان صاحبه يعتبر من زمرة الذين جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا. ففقه حديث الله اذن يشمل ادراك العلم العالي و الحقيقي الذي فيه و اتباع الحكم المتنزل و المتفرع عنه.

" قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من وفقكم او من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض, انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون " و الفقه هنا مرتبط بادراك الأسباب و مسبباتها في نظام العوالم كلها, فان الاية تتحدث عن الشرك و اثاره الممكنة الواقعة على أهله, و الشرك ليس فقط موقف عقلي و لكنه أيضا يؤدي الى موقف فعلي, و قد ترتب العذاب على الامرين, و بالتالي الفقه في هذه الاية يشمل ادراك الأسباب النفسية و مسبباتها و ادراك الأسباب الافاقية و مسبباتها, و بما أن مبدأ كل هذه الأسباب هو الله تعالى "قل هو القادر على أن يبتعث" فان هذا يعني ادراك سلسلة الأسباب و المسببات كلها من المبدأ الأعلى سبحانه الى أسفل سافلين الوادي السحيق الذي يهوي اليه من يشرك بالله كما في الاية الأخرى.

" و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمت البر و البحر, قد فصلنا الايات لقوم يعلمون. و هو الذي أنشأكم من نفس وحدة فمستقر و مستودع, قد فصلنا الايات لقوم يفقهون " و هنا نلاحظ فرقا بين العلم و الفقه. فالعلم ارتبط بأمر له علاقة مباشرة بمنتفعنا "لتهتدوا بها" , و لكن الفقه ارتبط بأمر المبدأ و حقيقة مبدأ الشئ و نشأته الأولى و طريقه " أنشأكم" . فيمكن أن نقول أن العلم يرتبط بالمنفعة, و الفقه يرتبط بالمعرفة و الحقيقة. و ان كانا لا ينفصلان و لكن التمييز بينهما بنحو من التمييز مهم لادراك الفروق الدقيقة التي ترد أحيانا.

" يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال, ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين و ان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون " و الفقه هنا مرتبط بكيفية الانتفاع بالقليل ظاهرا عن طريق تنمية باطنه و جوهره. فعلى فرض أن القتال هنا قتال جسماني فان الفقه يكون بادراك الأسباب العالية للنصر و الأخذ بها "و ما النصر الا من عند الله" و ادراك الاسباب السفلية و الاخذ بها بقدر المستطاع " و أعدوا لهم ما استطعتهم من قوة " و الكفار لا ياخذون الا بسبب واحد و لذلك وسمهم الله بأنهم "لا يفقهون" فمن حيث الأسباب السفلية فان الكفار يأخذون بها, فهم يعدون ما استطاعوا من قوة لحرب المؤمنين, فمن هذه الحيثية لا يمتاز المؤمن على الكافر في شئ,

فكيف اذن أصبح المؤمن الواحد يوازي عشرة من الكفار ؟ لابد أنه سبب آخر, و هو السبب الذي نسميه باطني او جوهري او الهي او عالي او حقيقي. و حيث ان الاخذ بها السبب العالي مكفور به عند الكفار, و حيث ان الله وسمهم بانهم "لا يفقهون" فاذن : الفقه هو ادراك الأسباب العالية و الأخذ بها في كل شئ من حياة الانسان على الاطلاق. و من أمثلة ذلك التعلم , فان العلم الرباني يؤخذ من حيث المبدأ من الله تعالى مباشرة, "و يعلمك من تأويل الاحاديث" و "يعلمكم الله" و "الرحمن علم القرءان", فمن سمات الكفار- كفر ملة او كفر نعمة- أن يقتصروا في طلب العلم على الأسباب المظهرية السفلية, كقراءة الكتب و السماع من الاساتذة و نحو ذلك. و لكن أهل الله يأخذون بالسبب الأعلى , و السبب الأعلى يدلهم على أحسن سبب أدنى و يهديهم له و ييسره لهم. و هذا المبدأ, أي الأخذ بالسبب الأعلى, يشمل كل حياة الفقيه الفردية و الاجتماعية, العقلية و المالية, و كل صغيرة و كبيرة. و هو التوحيد في أكمل درجاته.

" فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله و كرهوا أن يجهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله و قالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون " فالفقيه من يتبع رسول الله, و يجاهد معه بماله و نفسه في سبيل الله, و ينفر في الحر بكل معاني الحر و بكل معاني النفر. و كل ما يضاد هذا هو من سمات السفيه , على اعتبار أن السفيه هو ضد الفقيه. و هذه الاية كافية لتبيين حال الفقيه من الناحية الشرعية و العملية ان اخذت على بمعناها الجسماني المظهري. و ان اخذت بمعانها العالي الروحاني, فان المخلف هو الذي لا يسعى كما يسعى الرسل , أي الى بلوغ مرتبة الرسالة و الحياة بحياة رسالية لها غاية الهية و دافع الهي و منهج الهي. و الحر يشمل كل مشقة, خصوصا المشقة التي تحيط بالانسان , أي الظروف المكانية و الزمانية. فالفقيه يسعى الى الله و يسعى في سبيل اعلاء كلمة الله و منهاجه بغض النظر عن أي ظروف مكانية و زمانية فيها مشقة ان كان الحائل الوحيد بين اتمام أمر الله هو تحمّل هذه المشقة و المجاهدة للتغلب عليها, و ليس ان كانت الظروف تمنع ذلك بالمرة فان الاعتزال هو الحكم عندها كما هو الحال في قصة أهل الكهف و كمثل ابرهيم عندما اعتزل قومه. و كذلك نجد في هذه الاية مرة أخرى اعطاء كل مرتبة حقها, فان الله لم ينكر أن الظروف كانت فعلا "حر" و لكنه قال "نار جهنم أشد حرا" فهنا نجد الأولوية و مراعاتها. و نلاحظ أيضا أن ادراك درجة حر نار جهنم ارتبط بالفقه "نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون" و هذا يعني أن للفقيه اطلاعا عقليا حيا على أحوال الاخرة و حقائقها, فالفقيه يحيا في الاخرة كما يحيا في الدنيا, و لذلك يستطيع أن يعطي الاخرة حقها و يعطي الدنيا حقها. من أدرك عدل. و من جار جهل.

"رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون " و هذا يدل على أن اختيارات الانسان في حياته تؤثر تأثيرا مباشرا على قلبه, و بالتالي تؤثر على حياته الروحية و الخالدة كلها. فأولا يجب أن يختار الانسان المقام الذي يريد أن يصل اليه و يسكن فيه, فمن رضي بأن يكون مع الخوالف ليس كمن سعى ليكون مع الخلفاء و الأولياء. هذا هو أول اختيار. و بناءا عليه سيكون حال القلب. و لذلك ربط الله بين "رضوا بأن يكونوا مع الخوالف" و بين "و طبع على قلوبهم" حيث ان الذي رضي بالمرتبة المتدنية جدا من الوجود سوف يغلق كل نافذة على مرتبة أعلى من الوجود, و هذا هو الطبع على القلب, و بذلك تصبح لهم قلوب و لكن "لا يفقهون بها". هذا كمن اختار أن يكون مقعدا شبه مشلول طول حياته و رفض الحركة, فانه ستكون له رجل و لكنه لا يمشي بها. فاختياره أن يكون من المقعدين يجعل رجله لا فائدة منه, و لذلك هو سيكفر بها و يعتبرها غير موجودة أصلا, و يوما بعد يوم بسبب عدم تحريك رجله فان الدم سيجمد فيه و سوف لن يستطيع أن يحركها بعد ذلك اللهم الا ان يغيّر موقفه من القعود و جاءه شفاء من طبيب عليم باذن الله. و هكذا من لا يرضى بمرتبة بهيمية من الحياة فان البهائم تعيش و تكافح و

تنكح و لا تحتاج الى عقل و لا حكمة عالية و لا روحانية و لا شئ من هذا القبيل , فمنذ متى وجدنا كلبا يدرس الحكمة على كلب اكبر منه ! "ان هم الا كالأنعم". و هذا حكم بحسب ظاهر المثل لتقريب المفهوم. و فعلا البشر الذي يريد أن يعيش لمجرد المعيشة أطول فترة ممكنة سوف لن يحتاج الى قرءان و عرفان و حكمة و دراسة و صلاة و فقه و أنبياء و أولياء و لا شئء من هذا القبيل. بل ان هذه الامور قد تؤثر على طول معيشته على الارض ! فالخوالف لا يحتاجوا الى قلوبهم التي فيهم. و قرارهم بأن يكونوا مع الخوالف يعني حتما أنهم قد "طبع على قلوبهم" و هذا يؤدي الى "فهم لا يفقهون". من سمة الكافر و المتخلف أنه محدود مسجون. و من سمة المؤمن الحر أنه واسع طليق منفتح . فلا أحد "يدخل" في دين الله, لان دين الله ليس شيئا محدودا كالقفص حتى "يدخل" فيه أحد, و هذا يوهم بأن العيش في الظلمات هو الحرية و السعة و أن الذي ينتقل الى النور "يدخل" في دين الله. و هذا وهم و مصيبة. بل الحق أن الظلمات هي القفص و السجن و الحفرة, و رمز "الدخول" في دين الحق هو "الخروج" من الظلمات. "لتخرج الناس من الظلمات الى النور" و "الله ولي الذين ءامنوا يخرجهم من الظلمات الى النور", فالحرية و السعة و الاطلاق و رؤية كل شئ ممكن أن يرى هو النور. و لذلك يأتي مثل قلب الجاهل السفيه دائما بأنه مقفول و مسجون و مظلم و ضيق و مكبوت و مغلول و مقيد, كلها رموز الحد و الحصر و العمى و المرض. و بعكس ذلك سمة المؤمن العالم. و من الظلم الكبير الواقع بين العوام من البشر في هذه الايام هو أنه أصبح السائد الاعتقاد بأن الفقيه هو "المنغلق" و السفيه هو "الحر" ! و انا لله و انا اليه راجعون.

"و اذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمنا, فأما الذين ءامنوا فزادتهم ايمنا و هم يستبشرون. و أما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم و ماتوا و هم كافرون...و اذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض : هل يراكم من احد ثم انصرفوا, صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون" و الفقه مرتبط بالقرءان مباشرة, و هو متعلق بكيفية تعاطي الانسان مع القرءان سورة بسورة و ليس القرءان اجمالا. و للفقيه مع كل سورة قرءانية مكسبين: ازدياد في الايمان, و استبشار بالخير. و الايمان- بحسب الاصطلاح القرءاني- هو أعلى درجة من العلم التي تؤدي الى العمل, أي فمن العلم ما لا يؤدي الى العمل كمثل الكلب الذي أتاه الله ءاياته فأخلد الى الارض و اتبع هواه او كالذي أضله الله على علم, فالعلم مجردا لا قيمة له من حيث كيفية تعامل الانسان معه, أي العلم كمجرد معلومة ميتة في الدماغ البشري, لا تؤدي الى عمل روحاني و لا عمل جسماني من أي نوع و مستوى. كالذي يعلم بأنه سيموت و لكنه يفكر و يتصرف كأنه سيخلد على الارض. و قس على ذلك. فالايمان يعبر عن القوة في كل مستوياتها خصوصا الروحانية العقلية و التي عليها مدار الحياة الاخروية و أما عمل الجسم فثانوي و فرعي و هو بسيط في معظم الأحيان فان الفقيه حقا لا يتعب جسمه في لغو او لهو فارغ. فالايمان و الاستبشار هو أعلى درجة من التفاعل مع سور القرءان. و هذا حال الفقيه صاحب القلب السليم. و بعكس ذلك السفيه الذي في قلبه مرض و رجس و موت و كفر فلا يتوجه الى الله بل ينصرف عنه و تكون النتيجة "صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون" فعدم فقههم هو الذي أدى الى أن ينصرفوا عن القرءان, و انصرافهم عن لب القرءان و اعراضهم عنه و الاهتمام التام بغيره هو دليل سفههم و الذي أدى الى نتيجة "صرف الله قلوبهم". فعمل الله مع الانسان هو مرآه تعكس عمل الانسان مع الله. فمن انصرف صرفه الله, و من أناب رفعه الله. و الفقيه عاكف على القرءان. يغوص فيه بنفسه, و يتدارسه مع اخوانه. و من ايات السفيه أن يرفع ما جاء من أدمغة بعض البشر الذين اختاروا أسفل سافلين فوق مرتبة ما تنزّل من عند الله على عقول من اختاروا أعلى عليين. و لا قوة الا بالله العلي العظيم.

" وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا. قالوا يذا القرنين ان ياجوج و ما جوج مفسدون في الارض" فياجوج و ماجوج الذين وسموا بانهم لا يكادون يفقهون قولا, وسموا أيضا بأنهم مفسدون في الارض. و هذا يعني أنه يوجد صلة بين الأمرين. و بذلك يكون من سمات الفقيه المطلق عدم الافساد في الارض مطلقا, و السفيه المطلق الافساد في الارض مطلقا, و الناس بين ذلك درجات. فادراك مصالح الارض و منافعها, و استخراج منافعها و خيراتها, و وضع الحدود النافعة لاستعمالها و ابراز بركاتها, كل هذا من صميم الفقه. و من الفقه فصل أهل الفساد عن أهل الصلاح, كما فصل بينهم ذو القرنين. و يظهر أن العلاقة بين عدم فقه القول و الفساد في الارض, هو عدم التعاطي مع العلوم و الفنون الراقية. فالقول هنا يشمل كل قول فيه علم و حكمة, و قد يكون أشد من ذلك أي ان هؤلاء لا يدركون اللسان أصلا, أي مطلق القول. فهم جهلة من حيث اللسان الذي هو أساس أي قول عموما. أيا كانت صورة القول. و بما ان الصلة الراقية بين الناس تعتمد على قابلية التحاور و التعاطي و بتعبير القرءان "و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا" فان من سمات ياجوج و ماجوج هو عدم وجود القابلية فضلا عن الرغبة على القيام بمثل هذا التعارف بين الشعوب و القبائل. و لعل هذا هو السبب في أن جزاءهم كان بناء "سد" عليهم, فكما أنهم رضوا بأن ينغلقوا على أنفسهم و لا يستعدوا للتعارف على الشعوب و القبائل المختلفة عنهم في الظاهر- الذي هو من ايات الله "و من ءاياته اختلاف ألسنتكم و ألوانكم" و لهذا الاختلاف أسرار الهية يعلمها أهلها الذين علمهم الله اياها- فان جزاءهم هو حصرهم في حد و سد يمنع انتشار اذاهم بني الخلق. فمن الطبيعي أن الذي لا يملك أداة التعارف سوف لن يملك الرغبة في التعارف, و من لا يملك لا الاداة و لا الرغبة على التعارف سوف يكره و يغضب على كل من يخالفه في مظهره و قيمه بدون أي عذر او ادراك لسبب كونه على ما هو عليه بل غضب و كره أعمى, و هذا سيؤدي الى أن العنف و سفك دم الشعوب و القبائل المغايرة لهم هو الطريق الوحيد الذي سيسلكه أمثال هؤلاء الهمج و الجفاة الطغام , و لذلك وجب حصرهم في سد يمنعهم من الخروج منه. فمن السفه أن يمارس الانسان العنف الجسدي ضد من يخالفه في اللسان و اللون و الدين و القيم, طالما أن الاخر لم يعتدي و يبدأ بالاعتداء و يظهره كما علمنا الله "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين و لم يظاهروا عليكم أن تبروهم و تقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين" و معلوم أن البر و القسط هما أعلى تعبير في القرءان عن الاحترام و التوقير و المعاملة الأحسن كما قال الله عن "بر" الوالدين, بل و كما قال عن تعامل الله نفسه- الذي استوى على عرشه باسم الرحمن- بأنه تعامل بالقسط "شهد الله انه لا اله الا هو و الملائكة و اولوا العلم قائما بالقسط". فاذن من سمات الفقيه: تعلم أدوات ووسائل التعارف مع الاخرين, و ممارسة هذا التعارف و قبوله بالكلية, و البر و الاقساط الى الغير الغير معتدي و لا المظاهر الى الاعتداء علينا. ومن البديهي ان الفقيه لا يمكن أن يبدأ في الاعتداء و ظلم أحد بغير حق أيا كان هذا الغير.

و باقي الايات لا تخرج عن هذه المعاني بل تدور على مدارها. و لذلك عندما يقول القرءان "ليتفقهوا في الدين" فأحسب الان أن المعنى قد اتضح و أن التفقه في الدين ما هو. فلا يوجد عبارة أعلى و لا أوسع من هذا التعبير "ليتفقهوا في الدين" و هي عبارة تشمل الوجود كله, بكل ما فيه, و تشمل الحياة الانسانية كلها بكل ما فيها. و حظ الانسان من الفقه في الدين هو حظه من كل ذلك. كما تبين من استعمالات القرءان الكريم لكلمة الفقه. و يظهر ان الفقه عزيز بين الناس بقدر عزة ورود كلمة الفقه في القرءان ! فانه من بين أكثر من ستة الاف اية لم ترد الا عشرين مرة. و لعل هذه اشارة الى ذلك. و على الله قصد السبيل.

فان أردنا أن نجمل القول في الفقيه القرءاني نقول: هو الذي يعرف حقائق الأشياء و علاقتها ببعض, و يعرف الأسلم و الأحسن بالنسبة للناس و يعمل على أساس ذلك.

و الان, كل وسيلة تبنى على حقيقة و تؤدي الى منفعة فهي من فقه الشريعة. و على الفقيه أن يبحث عن أي الوسائل أقرب الى الله أي أعلى في المرتبة و أنفع للناس. شريعة الله هي حكمة يمكن ان ينتفع بها كل انسان على الاطلاق. و ان كان المطلق يجب أن يتقيد في المراتب النازلة بحكم نظام العوالم. فبما أن للانسان جسم مثلا فانه لابد أن يأخذ ببعض المطلق دون بعض, و لكن هذا لا ينفي أن غيره من الناس الذين أخذوا ببعض اخر على أساس من الحكمة الربانية و المبادئ الالهية هم أيضا على حق و سلام.

و لذلك نحكم بأنه : دراسة القرءان هي أعلى وسيلة للفقه يمكن أن يتخذها الانسان.

و معلوم أن الفقه و العلم يتنزل من لدن الله على قلب الانسان الحي مباشرة بحكم خلافته الذاتية. فالفقه من هذه الحيثية هو هبة من الله. و انما حكمنا السابق هو من حيث الاعمال التي يقوم بها الانسان في هذا السبيل, أي من قبيل اتخاذ الأسباب و البحث عن الاقرب الى الله. "يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب" (بهذا الاعتبار) " ابتغوا الى ربكم الوسيلة". فهذا كما عصا موسى, فان الله حكم في نظام العوالم ان يد موسى لن تفلق البحر, بل العصا التي يمسكها موسى بيده هي التي ستكون سببا لانفلاق البحر. فلكل غاية وسيلة او وسائل, بعضها يساوي بعض و بعضا أقوى و أعلى من بعض. و في ضمن حدود أمة محمد عليه السلام, فان دراسة هذا القرءان هي أعلى وسيلة الى الله و الفقه. و بديهي أن هذا لا يعني أنه الوسيلة الوحيدة لكل الناس, و لا يعني أي شئ من هذه المفاهيم الضيقة التي تحجّر الواسع سبحانه. و انما نقصد أنه ان أردنا أن ننظر في كل ما جاء به النبي محمد عليه السلام, فاننا نحكم بأن دراسة هذا القرءان هي أعلى وسيلة جاء بها للفقه. فمن أراد أن ياخذ بما جاء به الرسول عليه السلام و يكون في أعلى مرتبة في أمته فان دراسة القرءان هي الوسيلة الأكبر لذلك. و كل ما سواها يأتي دونها , و ليس لسواها الحق في الوجود ضمن شريعة الرسول الا ان لم يلغ و ينقض هذه الوسيلة, بل ان الانشغال عنها بغيرها بحيث ان الانشغال بغيرها يؤدي الى هجرانها بالكلية- كما فعلت و تفعل الصلوات الخمسة بالنسبة للنسبة العظمى من أفراد الأمة- فان حكم هذا الغير يصبح مكروها او حتى ممنوعا بالكلية حتى يستطيع أن يرجع الامور الى نصابها و يعطي الأعلى حقه قبل الادنى, ثم يرجع له الحق في القيام بما دونها من وسائل ان شاء.

و لهذا نحكم بأن : على الأمة أن توقف الصلوات الخمسة في الجماعات بل حتى في الحياة الفردية حتى ترجع دراسة القرءان الى المقام الأعلى في وعي الأمة و عملها و فكرها و روحها, الأمة بكل أفرادها أو غالبيتهم العظمى – فدراسة القرءان "فرض عين" بحسب الاصطلاح التشريعي المشهور و ليست "فرض كفاية" كما يحسب العوام, بل "فرض عين" و في هذه المرحلة من حياة الأمة خصوصا هو فرض عين مشدد فيه الى أعلى درجة ممكنة من التشديد و التأكيد. ثم بعد ذلك لكل حادث حديث, و الحكم هذا ساري الى أربعين سنة من يوم ينتشر بين الناس و يعمل به على مستوى الجماهير المؤمنة. و منذ انتشاره و العمل به و اشتهاره, فانه يجوز لمن شاء من الذين جعلوا دراسة

القرءان أعلى عمل عندهم و ترسخ ذلك في قلوبهم, يجوز لهؤلاء فقط أن يصلوا الصلوات الخمس و غيرها من الاعمال التوسلية و لكن في حياتهم الفردية و الخاصة فقط. و لا يجب أن يظهر شئ في الامة المحمدية كلها الا دراسة القرءان حتى يعتقد القريب و الغريب ان الأمة قد أدمنت و فتنت بدراسة القرءان. و عشقته.

يجب ان يتربي عندنا جيل من الفقهاء بالقرءان. و هذا لن يحدث الا ان أخذ الناس بالحكمين الذين ذكرتهم. أولهم علمي و الثاني فعلي. أي العلم بمرتبة دراسة القرءان و أنها الأعلى باطلاق, و اعادة تكوين عقلية الناس على هذا الأساس. و أي محاولة لنشر القرءان حقا بغير هذين الحكمين سوف لن يفلح أبدا. و أي محاولة لادخال القرءان بين زحام و شجار الفرق الاسلامية المتكونة حاليا سوف لن يفلح أبدا و لن يدخل كقرءان بل سيدخل ككتاب مذهبي مثل أي كتاب اخر عند الفرقة ان لم يكن اقلها اهمية بحسب الواقع.

و ان أردنا أن نلخص هذين الحكمين في فتوى فسنسميها: فتوى علو دراسة القرءان و العكوف الاجتماعي الخالص عليه.

" و لكل نبأ مستقر و سوف تعلمون ".

٢٨ (الصلاه في اللسان العربي)

نريد أن ننظر في المعنى اللساني المجرد للصلاه ، المجرد عن القرءآن ، لأن القرءآن جاء بلسان عربي، و إن كان قد قام بإنشاء معانيه الخاصه ضمن هذا اللسان ، و أساليبه الخاصه ، و لكن على العموم فإن كون القرءان بلسان عربي يعني أنه بلسان عربي ! و بالتالي النظر في القواميس و المعاجم و دراسه لسان العرب و العلاقه بين الاشتقاقات المختلفه للكلمه و الصور المختلفه لها و الأمور التي سميت على أساسها الأشياء ، بالإضافه إلى النحو و الصرف الذي له أبعاده الوجوديه الخاصه التي تعكس رؤيه اللسان العربي للوجود و الكون و شؤونه ، كل هذا يساعد حتما على التعمق في فلسفه الوجود و الكون من جهه ، و على فهم القرءان من جهه ثانيه ، و على التوسع في الادراك العقلي من جهه ثالثه .

فلننظر في ثلاثه كتب ، لسان العرب لابن منظور ، مقاييس اللغه لإبن فارس ، ألفاظ القرءآن للأصفهاني .

لسان العرب لابن منظور . " الصلاه الركوع و السجود " و "الدعاء و الاستغفار " ، من الله "الرحمه و الترحم" . و أحد الروايات النبويه يستنبط معنى " يدعو " ، من روايه صحابيه " يستغفر" و من آيه قرءآنيه " الثناء عليهم" . أقول : كل هذا استنباط لمعنى من نصوص ، و التحيز في فهمها قد يكون فيه ما فيه . و لكن ما نريده

هو المعنى الأصلي للصلاه و من أين اشتق او أصله اللغوي . و من مجمل ما قاله ابن منظور نصل إلى أنه وضع ثلاثه أصول لمعنى الصلاه . اللزوم و الدعاء و التعظيم . و من قول العرب في الخيل ، يستنبط معنى : التالي ، أي الخيل الذي يأتي تاليا للسابق المتقدم . و من المعاني المقترنه أيضا : الشوي ، قاسى حرها ، الأمر الشديد ، الدخول ، شرك ينصب للصيد ، الوتد .

ابن فارس . " ص-ل- حرف معتل ، له أصلان : ١- النار و ما أشبهها من الحمى ، ٢-جنس من العباده " و يذكر شذوذا و هو " الأشراك " . و في جنس العباد يذكر الدعاء .

الأصفهاني . الأصل هو الإيقاد بالنار و الدعاء و التبريك و التمجيد . و صلاه الله على المسلمين : تزكيته إياهم . و موضع العباده يسمى صلاه ، و إقامتها إقامه موضعها . و من المعاني المقترنه ازاله المرض كازاله النار .

لنضع هذا في البال ، و لنقرأ المقال التالي الذي يذكر الصلاه في المرويات . و لكن الأظهر و الأمر الجامع في هذا الباب هو الأصول التاليه : اللزوم ، الدعاء ، التعظيم ، النار ، ازاله المرض، المواضع التي تتم فيها هذه الأمور . فهذه ست معاني .

٢٩ (الصلاه في المرويات النبويه و الصحابيه)

سنذكر الروايات تباعا ، و نعلق تعليقا مختصرا بما يناسب المقام ، للاشاره إلى شاهد المعنى .

١/ روى مسلم و أصحاب السنن الأربعه. " قسمت الصلاه بيني و بين عبدي نصفين " ثم ذكر سوره الحمد . فواضح من هنا أن الصلاه هي تلاوه سوره الحمد . و التي تحوي شتى اللغويه التي ذكرتها المعاجم . و رأس ذلك الدعاء و التعظيم. فالروايه المشهوره عن قسمه الصلاه نصفين ، تبين بوضوح لا مزيد عليه من أن الصلاه لها نصفين. و بالتالي ما تذكره الروايه بعد ذلك هو "كل" الصلاه ، في هذا المقام . و كلام الروايه منسوب لله تعالى فهو أفصح الكلام على الإطلاق . و بالتالي من أتى بسوره الحمد ، فقد أتى بالصلاه .

٢/ روى مسلم . "إن هذه الصلاه لا يصلح فيها شئ من كلام الناس ، إنما هو التسبيح و التكبير و قراءه القرءآن" . فهذه هي مكونات الصلاه ، المكونات الجوهريه للصلاه لا أقل ، و هي ثلاثه : التسبيح و التكبير و قراءه القرءآن . و كما ترى فإنه لا يوجد فيها حركات جسمانيه معينه كصفه ضروريه ، و لهذا كما بينا في أبواب سابقه كان الصلاه حق حتى على من لا يستطيع أن يقوم او يقعد او يستلقي على جنبه او أي وضعيه أخرى . فإن كل هذه أمور - في أحسن الظنون - ثانويه . و أما الأمر الجوهري في الصلاه فهو التسبيح و التكبير و قراءه

القرءآن . فكوننا نقول " قراءه القرءآن " صلاه ، و هي الصلاه ، أو هي من أكبر صور الصلاه ، هو أمر لم نأت به من عند أنفسنا ، بل هو أمر من كتاب الله ، و ها هو من مرويات القوم . بالإضافه إلى "التسبيح و التكبير " الذي هو من صور الذكر . فأيضا قولنا بأن ذكر الله مما يعتبر صلاه ، هو أيضا قول ثابت في هذه الروايه .

٣/ روى البخاري . " سيخرج قوم في آخر الزمان ، أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البريه ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه " . و في روايه أخرى عن أبي داود " يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البريه ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميه ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم". و في أبي داود أيضا " يخرج قوم من أمتي يقرأون القرءآن ، ليست قراءتكم إلى قراءتهم شيئا ، و لا صلاتكم إلى صلاتهم شيئا ، و لا صيامكم إلى صيامهم شيئا ، يقرؤن القرءآن يحسبون أنه لهم و هو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم ترافبهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميه " . و في روايه "قوما يقرأون القرءآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه " . و هذه روايات مشهوره معروفه . و تعليقنا هو التالي : لاحظ أنه مره يقول أن الذي لا يجاوز تراقيهم هو "قراءه القرءآن" و مره "صلاتهم" و مره "إيمانهم". فكأن هذه الثلاثه لها مدلول واحد ، و لكن من جهات او حيثيات مختلفه . و هو كذلك . فقراءه القرءآن هي الصلاه ، و هي أحسن صلاه ، و بهذا هي الإيمان ، لأن الإيمان "معرفه بالقلب" كما في روايه السند الذهبي في ابن ماجه ، ثم بعد ذلك تفيض هذه المعرفه على القول باللسان و العمل بالأركان ، و بدون معرفه يكون القول مهما عظم نفاقا و كذبا كما ورد في سوره المنافقين ، و يكون العمل بالأركان رياءا مبطلا للعمل كما ورد في سور كثيره . فالمعرفه القلبيه هي الأساس ، و هي الأصل ، و بدونه لا قيمه لما سوى ذلك . و هذه المعرفه لا تكون إلا بالذكر و الفكر ، بذكر الله و قراءه القرءآن قراءه متدبره غير ساهيه . و في هذه الروايات بيان عظيم لهذه المسأله ، و كيف أن الجهل و الجاهليه و سفك الدماء ينشأ من عدم المعرفه - بالمعنى الحقيقي للمعرفه - بالقرءآن ، و بالتالي تكون قراءه لا تتجاوز الحناجر فتصل إلى القلب . " يقرؤون القرءآن لا يجاوز حناجرهم" و "لا تجاوز صلاتهم تراقيهم " . فتأمل هذا .

و حسبنا هذا في هذا الباب فتأمله .

٣٠ (الإسلام العمري أصل المصائب)

أصل مصائبنا كمسلمين هو تعريفنا للإسلام ، و لأركان الإسلام . و هذه عباره مشحونه ، و ليست إنشاءا اعتباطيا . فإنك إذا تعمقت في الأمور ، ستجد أن روايه "بني الإسلام على خمس" و التي هي موضوع هذا الباب ، هي رأس هذه المصائب . لأنها جعلت الإسلام شئ ساذج و سطحي ، بل شئ عامي دهمائي عجائزي . و لطالما عانينا بسبب هذه الروايه التي طار شرها و غطى ظلامها الأفاق . ففضلا عن كونها روايه لا تقوم على حجه قرءانيه من قريب أو بعيد على التحقيق ، بل حتى على قراءه سطحيه لكتاب الله ، فبالإضافه إلى ذلك - و حسبنا كتاب الله - فإنها أيضا روايه ضعيفه في حد ذاتها ، فهي معارضه بروايات أخرى تعرف الإسلام و تحدد الإسلام ، هذا من ناحيه ، و من الناحيه الأخرى فإنها روايه واحد او على الأكثر بضع من الصحابه . فالروايه أصلها عن ابن عمر ، و هو يحكي عن عمر ، و القصه هي ما يعرف بحديث جبريل ، أو "أم السنه" على قول البعض . و هو الذي يفرق بين الإسلام و الإيمان و الإحسان و علم الساعه . و بالرغم من أن عامه من اعتنى بهذه الروايه ركز على الأصول الثلاثه الأول ، إلا أننا بدأنا نجد في هذا القرن خصوصا من بدأ يعتني بالأصل الرابع الذي ذكرته روايه عمر و ابنه ، أي علم الساعه ، كأبي بكر المشهور في كتابه "الأسس و المنطلقات" . و لكن نحن نرى أن هذه الروايه كلها موضوعه و لا أقل ضعيفه ضعفا شديدا و خطيره خطرا مشينا ، خطر طبق شره الأفاق .

ما هي المشكله الأساسيه للروايه من حيث متنها ؟ الجواب : بما أن الإسلام فيها هو الأركان الخمسه المعروفه ، و هي كلها أمور جسمانيه بحته مهما حاول البعض أن يضيف معاني عليها او يستخرجه منها ، فإن المعاني لأهل المعاني ، و أما بقيه الناس الذين ينظرون إلى الإسلام كطريق للجنه ، ثم يرون الإسلام محددا بكلمه تنطقها مره واحده ، و ما يسمى بالحج الذي هو كسفر سياحي و القيام ببعض الأمور الجماعيه ، ثم ما يسمى بالزكاه الذي هو ٢،٥٪ بشروطه المعروفه و المختلف فيها -كما هو الاختلاف في بقيه الأركان و في تفاصيلها - ثم الصوم مره في السنه مع بقيه الناس ، و حسبهم ذلك. أما الإيمان فهو قبول مجرد لعبارات لا يعرف و لم يشهد حقائقها الغالبيه العظمى من الناس و ليس لهم طريق إليها أصلا لأنهم لم يسيروا على الطريقه النبويه الفعليه ، فهم يسلمون بها تسليم العميان و بدافع من المحيط الاجتماعي او الرغبه النفسيه او شئ من شعاع حقيقيتها يشع في قلوبهم المحجوبه وراء سبعين أو سبعمائه حجاب و يقبلونها ك "عقيده" و انتهى ، ثم يوجد الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " و هذا أمر إضافي تكميلي يتمناه عموم الناس ، و أخيرا يوجد علم الساعه و علاماتها و هو أيضا مما يتم قبوله ك "عقيده " - هذه الكلمه البدعيه البشعه - و حسبهم ذلك . فالحاصل من ذلك هو أن الدين بأصوله الأربعه - كما تصوره هذه الروايه العمريه - هو "عقيده" أي أشياء يقبل الناس حروفها و شئ من تصورها الساذج ، قبولا واحدا و حسبهم ذلك . ثم أعمال جسمانيه معينه ، و هي المحور الأساسي و المفصل ، و الذي لبه "الصلاه" بالمعنى الجسماني المعروف كأصل . فمن قام بهذا فهو من المسلمين ، و أي شئ يدعى إليه بعد ذلك سيعتبر أمرا "كماليا" او "ترفيا" او "تعمقا و تشددا في الدين " او ما أشبه . و هذا سر تحول قلوب أهل الإسلام العمري إلى حجاره لا تقبل شيئا و لا تحسن عملا في الغالب الأعم . و حق لهم ذلك . فحالهم ليس إلا نتجيه منطقيه جدا . فطالما أن الإسلام بني على خمس ، و دخول الجنه بالإسلام ، و أنا أقوم بالأركان الخمس ، فالنتيجه : ما سوى ذلك أمر ثانوي تحسيني في أحسن الأحوال ، و بدعي تعمقي و تشدد و غلو في أسوأ الأحوال . و لبقيه الأحزاب تعريفات أخرى لأركان الإسلام ، فالشيعه الإماميه مثلا يجعلون "الولايه" فيها ، و هكذا يزيدون و ينقصون من الأركان ، طبعا و يوجد عامل مشترك أو اثنين بين كل الأحزاب في تعريفاتهم للإسلام و لواقع حياتهم : كلهم لا يستخرج ذلك من كتاب الله ، اللهم إلا من باب الإتيان بالآيات التي لا أقل ظاهرها يوافق ما قرروه من قبل ، و الأمر الثاني و هو الأهم ، هو أن دراسه القرءآن بل تلاوه القرءآن ليست في ركن اسلام و لا إيمان و لا إحسان أي أحد منهم . فقد أجمعوا على هجر القرءآن ، و اتفقوا على ما سوى ذلك . قد يأتوا بسبعين ألف روايه في فضائل دراسه القرءآن و تلاوته ، و لكن كل هذا لا ينفع عموم الناس في شئ ، لأن لسان حالهم بل مقالهم أحيانا هو أن "دراسه القرءآن ليس من أركان الإسلام ، فهي فرض كفايه إن قام به البعض سقط عن الباقين " و بهذا سقط الناس إلى هاويه أسفل سافلين .

فإذا نظرنا في كتب المرويات سنجد الكثير من المرويات التي تناقض هذا التقسيم الخماسي، او تنافسه، او تزيد عليه او تنقص منه . و كذلك عند الشيعه الإماميه مثلا ، إذا نظرنا مثلا في نهج البلاغه نجد أن الإمام علي عليه السلام يعرف الإسلام و الأركان و الأولويات بعده تعريفات ليست حصريه بهذه الطريقه الخماسيه.

فمثلا من كتاب البخاري .

كتاب الإيمان . باب قول النبي صلى الله عليه و سلم " بني الإسلام على خمس " . يعلق البخاري فيكتب " و هو : قول و فعل " . و هنا بدأ التسطيح للدين . لاحظ أن الإيمان "قول و فعل" ، بينما القرءآن يبين أن الإيمان معرفه و علم ، و حتى النبي في روايه سنذكرها لاحقا - ٦٥ من ابن ماجه- يذكر أن " الإيمان معرفه بالقلب و قول باللسان و

عمل بالأركان " . أس المصائب حذف أصل الإيمان الذي هو "معرفه بالقلب" و كل ما يلزم عن ذلك . و لكن هنا نجد أن البخاري يرى الإيمان "قول و فعل" . و هو التعريف الذي عليه عموم الناس في واقع حياتهم و أنفسهم . فالمهم عندهم أن يقوموا بالقول المناسب و الفعل المناسب ، و كله أمر جسماني ، ثم ما سوى ذلك فثانوي إن اهتموا به أصلا و لا يهتمون في الغالب الأعم ، إلا من كان عنده حب ذاتي لذلك . و لكن يأتي البخاري بعد ذلك في باب العلم و يقول (باب : العلم قبل القول و العمل) و لكن مع الأسف كلمه "العلم" هنا حصل لها ما حصل و أصبحت ثانويه أو مجرد العلم بمعنى أن تعلم الشئ ، و ليس العلم بمعنى شهود حقيقه الشئ، أي العلم بالمعنى الفقهي الحشوي ، و ليس بالمعنى التحقيقي العرفاني .

١/ " المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده " . و هذا تعريف مضاد لتعريف الأركان الخمسه . فالأركان الخمسه لا تذكر هذا الشرط العظيم . و لهذا قبل علماء السلاطين إسلام من بطشوا جبارين و نهبوا العالمين ، و تسافهوا على المسلمين . لا بأس ، إنهم يصلون و يصومون .

٢/ " يا رسول الله أي الإسلام أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه و يده " . و هذا تصريح ما بعده تصريح في كون أفضل الإسلام هو السلم باللسان و اليد . فإن كانت روايه الأركان الخمسه تذكر أن "بني الإسلام على خمس" فإن هذه الروايه تبين البناء ذاته . هذا مع قبول تلك الروايه و هي غير مقبوله . فمن "سلم المسلمون من لسانه و يده " فهو مسلم بأفضل الإسلام . و بالتالي المجرم هو الذي ينال من المسلمين بلسانه و يده " بغير ما اكتسبوا" كما يحدد القرءان .

٣/ رجل سأل النبي صلى الله عليه و سلم " أي الإسلام خير ؟ فقال " تطعم الطعام ، و تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف " . و هذا تعريف آخر ، و هو مكون من ركنين اثنين . الإطعام و السلام العام . لا شكلانيات ميته ، و لا اعتبارات سطحيه . إنما إطعام و سلام عام . هذا خير إسلام. فلا أقل أن نعتبر أن للإسلام مستويات ، و هذا خيرها . فما سوى ذلك من تعريفات ، كروايه البناء على خمس يمكن اعتبارها مستوى متدني من الإسلام . فلا تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير . و لا يقال "إنها متكامله " في هذا المجال ، لأن أصحاب الإسلام العمري لا يرضون بالاعتراف بإسلام من يرفض و لو ركن واحد من أركانهم أو يأتي بمعنى آخر له حتى لو كان هذا المعنى من كتاب الله ، و لهذا ترى أصحاب الإسلام العمري يعتبرون السلام و الإطعام إما أمور ثانويه هذا إن التفتوا إليها أصلا ، بل لعل منهم من يعتبر المبرز الأكبر في عالم الإجاعه و النيل من أعراض المسلمين و سفك دمائهم و تشويش السلام في العالم .

٤/ في موضوع البيعه ليله العقبه ، ذكر النبي سته أمور و شروط للبيعه ، و لم يذكر فيها أي شئ مما يمكن اعتباره من الشعائر في أحسن الأحوال ، بل جعل الأولويه لما سوى ذلك ، فقال " لا تشركوا بالله شيئا ، و لا تسرقوا ، و لا تزنوا ، و لا تقتلوا أولادكم ، و لا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم و أرجلكم ، و لا تعصوا في معروف " و كما هو معلوم لأهل القرءان ، فإن هذا تلاوه لما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز .

٥/ عن ابن عمر أيضا ، و هي من أسوأ ما اختلق و لا تزال آثاره السيئه إلى يومنا هذا ، قول ابن عمر على لسان النبي " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و يقيموا الصلاه و يؤتوا الزكاه ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم على الله " . الشاهد هنا هو أنه لم يذكر شئ عن الحج و الصيام . فحتى إذا فرضنا أن المقصود بالصلاه و الزكاه هو ما وضعه من يسمون بالفقهاء ،

فإن هذه الروايه تظهر أن الأركان ثلاثه ، و ليست خمسه . و وجه الاختلاق هو أنها تقرر أصاله عدم معصوميه غير المسلم بالمعنى المقيد . فهي تقرر العدوان . و لا مخرج من ذلك مهما تكلف من تكلف ممن يريد أن يحارب من يسمون "الارهابيين" بتجفيف منابعهم . فإنهم يعتمدون أساسا على مثل هذه الروايه ، و قد اعتمد الامبراطوريات على ذلك من قبل ، فقرروا أصاله عدم معصوميه دم و مال غير المسلم - باسلامهم هم أي المسلم لهم هم - و فعلوا ما فعلوا . و المخرج الوحيد هو أن يتم اعتبار هذه الروايه متعلقه أصلا بمرحله الحرب على المشركين الذي حاربوا و نقضوا العهود ، فيكون المقصود أن هؤلاء لا عصمه لهم بعد اعتداءهم الذي وقع منهم إلا بأن يقوموا بهذه الأمور . و حتى هذا فيه ما فيه ، و لسنا في مقام تخريج ذلك ، و إنما نذكره كإشاره . فهذه الروايه إما أنها تقرر جواز العدوان على الغير مسلم ، طبعا بعد ذلك يأتي - و قد أتى و لا يزال يأتي - من يجعل طوائف من أمه محمد خارجه عن مسمى الإسلام ، ثم يستبيح أموالهم و دماءهم بنفس هذه الحجه ، فسبحان من يقلب الشر على فاعله . و يحاول هؤلاء أن يخرجوا أنفسهم من المأزق عن طريق تقرير إسلامهم و عدم شركهم ، و لات حين مناص ، فإن الهمج لا يسمعون ، فقد اعتبروكم كفارا و أهل شرك أكبر أو أصغر ، ثم قرروا خروجكم عن المعصوميه بذلك . و إما أن يتم تجويز الإكراه على الدين ، على فرض أخذنا بالمخرج الذي ذكرناه. الأول تقرير للعدوان ، و العدوان محرم من أعظم الحرمات في كتاب الله ، الثاني تقرير للإكراه على الدين ، و هو نقض لأمر الله و رسله في عدم مشروعيه بل نفع الإكراه . فالأول كفر ، و الثاني كفر. ثم يتعجبون من حلول نقمه الله عليهم ! أين العجب و أنتم تبنون الكفر الشرعي بزعم أنه أمر الله و رسوله . إن العجب أن الله لا يزال بحلمه يمهلنا و لم يبيد خضراءنا إلى هذا اليوم . نسأل الله العافيه و السلامه ، و قبول التوبه . و الويل لمن وضع هذه الروايات و لمن قبلها .

٦/ في روايه سئل النبي عن "أي العمل أفضل" فذكر ثلاث مراتب ، الأولى "إيمان بالله و رسوله" و الثانيه " الجهاد في سبيل الله" و الثالثه " حج مبرور". و كما ترى لا ذكر للصلاه و لا الزكاه . و يوجد ذكر للجهاد على أنه أعلى من الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنه كما في روايه أخرى. فالجهاد أعلى من الحج . و في روايه أخرى تعريف لحقيقه الجهاد ، و هو جهاد النفس ، و هو الجهاد الأكبر . فإذن إن كان وضع الحج مقبولا في أركان الإسلام ، فإن وضع جهاد النفس أولى بالوضع . هل ترى أهميه ذلك . هل تتعجب لماذا لا يرى جهاد النفس الغالبيه من المسلمين ، و يعتبرونه "تصوفا" او من "مراتب الإحسان" كما هو عند عوام الصوفيه الذي يعتبرون جهاد النفس من الأمور الإحسانيه، و ليس من صميم الدين ، بل أعلى من الحج المبرور ، فضلا عن الحج الشكلاني النفاقي الذي يذهب إليه القوم كأنهم يريدون الذهاب إلى نزه في حديقه عامه . فبنص هذا الحديث النبوي، و حديث "المجاهد من جاهد نفسه" و حديث "جهاد النفس هو الجهاد الأكبر " ، يجب أن يكون جهاد النفس أكبر و أهم و ركنيته في الإسلام أعظم من ركنيه الحج المبرور .

٧/ روايه النجدي الثائر الرأس الذي سأل النبي عن الإسلام ، فقال له - كما تقول الروايه - ثلاثه أمور فقط " خمس صلوات في اليوم و الليله " و "صيام رمضان" و "الزكاه" . فقال الرجل " والله لا أزيد على هذا و لا أنقص" فقال النبي " أفلح إن صدق" . و هنا لم يذكر النبي إلا ثلاثه ، و لا أقل أنه لم يذكر الحج . و هنا اختزال عجيب للدين بما لا مزيد عليه . فكأن الله بعث الرسل و جاهدوا و قتلوا و شردوا فقط من أجل هذه الأمور الجسمانيه الثلاثه . و لاحظ أنه لا قرءان ، و لا دراسه ، و لا جهاد نفس ، و لا حفظ حرمات الصراط المستقيم ، و لا شئ من كل ما أكثر عنه القرءآن و فصل فيه ، حسبك أن تقوم بهذه الأمور الثلاثه و تفلح . و لا أقل - كما ذكرنا - أنها لا تذكر الحج . فهي من الروايات التي تنقض خماسيه الأركان . فضلا عن أنها لا تذكر الإيمان و لا

الإحسان و لا علم الساعه. و بالتالي الفلاح ممكن بربع الدين – على التقسيم الرباعي للدين العمري – بل بأقل من الربع إذ لا حج .

٨/ " سباب المسلم فسوق و قتاله كفر " . كيف يكون سبابه فسوق إن كان المسلم يسب الآخرين ، و كيف يكون قتاله كفر إن كان المسلم يعتقد بأصاله عدم معصوميه دم و مال الأخرين . الجواب : سباب المسلم فسوق لأن المسلم لا يسب الآخرين ، و لا يقاتل الآخرين ، لأنه المسلم " من سلم المسلمون من لسانه و يده " و في روايه "سلم الناس من لسانه و يده " هذا هو الأصل في المسلم و الغالب عليه . و أما قول الحق في الأمور فلا علاقه له بذلك . فالمسلم مسالم ، و لهذا كان "سباب المسلم فسوق ، و قتاله كفر" .

٩/ في روايه عن أبي هريره تذكر ما يسمى بحديث جبريل ، و معلوم أن ابا هريره من حزب عمر ثم معاويه من بعد ، و لكن النظر في الروايه يدل على مخالفتها لذلك الحديث في بعض المواطن . فروايه عمر و ابنه تذكر سؤال جبريل عن الاسلام ثم الايمان ، و لكن روايه ابوهريره تذكر سؤال جبريل عن الايمان ثم الاسلام . هذا أولا . و ثانيا ، الايمان في روايه ابوهريره هو " أن تؤمن بالله و ملائكته و لقائه و رسله و تؤمن بالبعث " ، و لكن في روايه عمر " أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و بالقدر خيره و شره من الله " . فواضح التقديم و التأخير من جهه ، و واضح الاختلاف في العبارات ، فابي هريره يقول " لقائه ..و تؤمن بالبعث " بينما لا يوجد الإيمان باللقاء في روايه عمر بالنص و يوجد ذكر الاخره فقط ، و إن كان اللقاء داخل في الآخره على وجه ، و لكن النص النبوي لم يحدده و يبرزه كما في روايه أبوهريره و التي تحكي عن نفس الحادثه المفترضه . و لا يوجد ذكر للكتب في روايه أبوهريره ، و الذي يفترض أن الرسول دعى له أن يحفظ حفظا عجائبيا لا يغادر شيئا – كما هو معروف و يرويه البخاري أيضا . فالإيمان في صاحب الذاكره العجائبيه أبوهريره – و الذي يوجد روايات تبين نسيانه أحيانا – مكون من خمس أمور ، و لا يذكر القدر . بينما في روايه عمر و ابنه ، مكون من سته أمور . بالاضافه إلى اختلافات بين الروايتين ، ففي روايه عمر "تؤتي الزكاه" و في ابي هريره "الزكاه المفروضه" ، و في عمر "ان تشهد ان لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله " و في أبي هريره " أن تعبد الله و لا تشرك به شيئا " . فليتأمل هذا أهل التخصص . و هذا من التضارب في نفس الروايات التي يفترض أنها تحكي عن حادثه مشهوره "بينما النبي صلى الله عليه و سلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل " هذه عباره أبوهريره ، و عند عمر "بينما نحن جلوس عند " النبي عليه السلام . فالمسأله علنيه ، و مع ذلك لم يروها إلا هؤلاء أو على الأكثر بضعه أفراد آخرين – و أقول ذلك تحرزا . بل إن مجرد التفريق بين الاسلام و الإيمان بهذه الطريقه غير قرآني ، و يستحيل أن يصدر عن النبي القرءاني عليه السلام . كيف و الله يذكر إقامه الصلوه و إيتاء الزكره في الإيمان ، كما قال في بدايه سوره الأنفال " إنما المؤمنون ..الذين يقومون الصلوه و يؤتون الزكوه ، أولئك هم المؤمنون حقا " . و الإسلام أمر آخر ، كما ذكر في آيه الكلمه السواء في آله عمران ، و غير ذلك من قبيل إسلام الكون كله لله ، و إسلام ابرهيم لله و ثبوت معنى الإسلام له . فالإسلام حقيقه وجوديه . على أيه حال ، فإن دراسه هذا الأمر من القرءآن له باب آخر .

١٠/ " إن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله ، و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هي القلب " . و الله يقول من قبل " إلا من أتى الله بقلب سليم " . فصاحب القلب الفاسد ، فعل ما فعل ، لا ينجو و لا يفلح عند الله . فالقلب مدار الأمر كله . فكيف يمكن أن يتم اعتبار تعريف لأصول دين لا يعتني في ركنيته الأساسيه الجوهريه على تطهير و تنوير هذا القلب . هذه ملاحظه نذكرها لأهلها .

١١/ في باب (أداء الخمس من الإيمان) عندما جاء وفد إلى النبي و أخبروه أنهم يريدون أمر جامع لأنهم لا يستطيعوا أن يأتوا إليه إلا في الشهر الحرام . يقول الراوي " فأمرهم بأربع و نهاهم عن أربع . أمرهم بالإيمان بالله وحده ، قال : أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله و رسوله أعلم . قال: شهاده أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاه ، و إيتاء الزكاه ، و صيام رمضان، و أن تعطوا من المغنم الخمس . و نهاهم عن أربع ، عن الحنتم و الدباء و النقير و المزفت و ربما قال : المقبر . و قال : احفظوهن و أخبروا بهن من وراءكم " . تعليقنا على هذا : لاحظ للمره السبعين أنه لا يوجد في ضمن الأمر الجامع الأمر بدراسه القرءآن او قراءه القرءآن . ثم لاحظ أنه لم يذكر الحج و ذكر بدلا منه الخمس من المغنم . و يبدو أن الراوي لا يحسن العد ، فإنه ذكر أن الرسول أمرهم بأربع ، و لكنه ذكر خمس . و لاحظ النهي الجامع ليس عن الحرمات التي ذكرها الله ، او المنهيات المشدد فيها التي ذكرها القرءآن ، و لكنها أربع أنواع من المشروبات على ما يبدو . ففضلا عن أن الروايه لا تقول أن النبي أعطاهم القرءآن او أمرهم بتدارسه لمعرفه أمر الله منه ، مما يعني أنهم لا يعرفون ما نهى عنه كلام الله ، فليس لهم طريق لمعرفه هذه المنهيات إلا أن يخبرهم الرسول بها في هذا الأمر الجامع ، فيأتي الراوي المختلق على ما يظهر و يظهر أن الرسول كان أشد اهتماما بمشروبات القوم من الاهتمام بالمسائل الكبرى في الدين من قبيل النهي عن الخيانه و الكذب و الغش في الميزان و غير ذلك . و هذا كله ينصب ضمن المنهجيه المؤسسه المنظمه في تسخيف الدين و تسطيحه . و ليس من العجب بعد ذلك أن نرى أولاد هذه المنهجيه و الرؤيه ممن يهتمون بمشروبات الناس و حجاب المرأه البدني ، أشد من اهتمامهم بسعين ألف مسأله أولى من ذلك في طريق النبيين المقدس . و كما قالوا في المثل : هذا الشبل من ذاك الأسد . و نقول : هذا الخبل من ذاك الفساد .

١٢/ يذكو عن جرير بن عبد الله " بايعت الرسول صلى الله عليه و سلم على إقام الصلاه و إيتاء الزكاه و النصح لكل مسلم " . إذا فهمنا الصلاه بدراسه القرءآن و تعلمه ، و الزكاه تطهير القلب مما يحول بين الانسان و بين العمل بما تعلمه من كلام الله ، فإن هذه الروايه و البيعه تكون فعلا من أجمع ما يمكن . لأن تعلم القرءان ، و العمل به ، ثم النصح للمسلمين بحسب ما تعلمه الانسان و عمل به ، هو الخلاصه الجامعه للأمر كله بهذا الاعتبار . و لكن على فهم القوم ، فإن هذه الروايه تضرب بقيه التعريفات . فهنا لا يوجد إلا ثلاثه أركان للبيعه . و في الروايه التي بعدها في البخاري ، أن نفس جرير هذا – رحمه الله – يقول " قلت : يا رسول الله ، أبايعك على الإسلام ، فشرط علي : و النصح لكل مسلم " فبايعته على هذا " . فإذن الإسلام الذي قبله النبي هنا له ثلاثه شروط : إقامه الصلاه، إيتاء الزكاه ، النصح لكل مسلم . فلم يذكر الصيام ، و لا الحج ، و لا الخمس من المغنم و لا الجهاد الأكبر او الأصغر ، و لا قراءه القرءآن الذي هو روح هذه الأمه – على فهم الصلاه بالفهم المشهور ، بل و لم يذكر التوحيد و الرساله حتى في شرط منصوص . فتأمل هذا .

و لنكتف بهذا من البخاري . و ليراجع أهل التحقيق هذه المسأله من هذه العين و ينظروا. و العجيب أنني وقعت على روايه ، أن رجلا سأل ابن عمر " ألا تغزوا ؟ " فقال ابن عمر " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بني الإسلام على خمس " ثم ذكر الخمس . و وجه العجب أنه يبدو للناظر من أول وهله أنه لا مناسبه بين السؤال و الجواب . و لكن الواقع أنه يوجد مناسبه ، و هي عين المناسبه التي سميناها نحن " أصل المصائب " . فابن عمر يقول بهذه الاجابه : إن الاسلام بني على خمس ، و أنا أقوم بالخمس ، و ليس الغزو من الخمس ، فلا بأس إن لم أقم به إذ أنا مقيم للإسلام . فإلى أن نمسح هذا التعريف الخماسي للإسلام ، لن تفلح الأمه ، و لن تقوم قيامتها من

هذا الموت الحال فيها . و لا مجال لتفادي هذا . فليقم الرجال لهذه المهمه العظيمه و يرفعوا صخور الجهاله من على قلوب المسلمين. و الله عنده أجر عظيم .

...